

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTÈRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

•ϣИΞИΙ:Θ:ИϢ:V:IIΞXϣ:Ι.VΞ:ΘΙ.Ι

X.ΘV.ΠΞXИИϢ:И:V.XϢH:ϢϢ:QIXΞJΞ:JЖ:

X.Ж:ΛΛ.ΞXIO:ΔИΞΠΞIVX:ΧИ.ΞΙ

UNIVERSITÉ MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU  
FACULTÉ DES LETTRES ET DES LANGUES  
Département de Langue et littérature Arabes



جامعة مولود معمري - تيزي وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الرقم: ..... / ..... / 2022

رقم الترتيب: .....

الرقم التسلسل: .....

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر (ل. م. د)

الميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

العنوان

إشكالية إثبات الذات الأنثوية في رواية "وادي الحناء"

لجميلة طلباوي

إشراف الأستاذة:

• آمنة بلعلی

إعداد الطالبة:

• وهيبية فرات

لجنة المناقشة:

د. حبي حكيمة، أستاذة مساعدة صنف أ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ..... رئيسة

أ. د آمنة بلعلی، أستاذة التعليم العالي، جامعة مولود معمري تيزي وزو ..... مشرفة ومقررة

د. نعيمة يعمرانن، أستاذة مساعدة صنف أ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ..... ممتحنة

السنة الجامعية: 2022/2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

سورة المجادلة، الآية 11

صدق الله العظيم

## إهداء

إلى حبيب القلب وماسة الفؤاد أبي.

إلى نجمة الصبح التي تملء الصباح والتي بعدها عني يرهقني كسلع السوط يسحقني  
أمي

إلى كل إخوتي الذين ترعرعت ونشأت معهم وكانوا لي عوناً وسنداً  
إلى الأستاذة "آمنة بلعلی" المشرفة على العمل، و"حبي حكيمة" و"لكحل سعدية" اللتين  
نفضتا عني القلة والملة.

إلى جميع الأساتذة الذين أناروا لي طريق العلم وإلى كل من ساعدني في هذا العمل  
ولو بكلمة طيبة.

إلى كل من هم في ذاكرتي ولم تخط أسماؤهم في مذكرتي.

أهدي ثمرة هذه المذكرة.

تيزي وزو في يوم 2022/04/19

وهيبة.

## كلمة شكر وعرّفان

خير ما تستهل به نفاحات الشكر والعرّفان حمد الله على جزيل نعمائه حتى ظهر بحثي في هذه الهيئة والصلاة والسلام على النبي الأمين الذي انشق له القمر وسبّح في يده الحجر وبكى لفراقه الشجر.

شكري الخالص والعميق أوجّهه إلى أستاذتي المشرفة "آمنة بلعلی" على تشجيعاتها المتواصلة وتوجيهاتها الدائمة، والتي كانت قبلة ومنبعا للعلم والمعرفة وإلى الأستاذة حكيمة حبّي على مرافقتها الدائمة.

# مقدمة

تعدُّ الكتابة عن الصّحراء، من أبرز المظاهر التي طرأت على الرواية العربية عامة والجزائريّة خاصة، هي همُّ روائي اقترن بالحديث عن المهمش والآخر المختلف.

وإذا كان الحس الفني هو القاعدة الأساس التي يبني عليها أي عمل أدبي، فإنّ الصّحراء هي الفضاء الذي حرّك ذلك الإحساس بعد ما كانت مهمشة، وظّفه المبدعون للحديث عنه، بغية إنقاذ هذا العالم المكتنز بتراث ثقافي ورمزي يوشك على الاندثار، وتعد **جميلة طلباوي** إحدى المبدعات اللواتي خضن غمار التّجريب في موضوع إجتماعي ديني، واعتمدت على تفكيك هذا المخيال الإجتماعي من أجل اكتشاف البنية العميقة للصحراء، وهذا ما عالجه رواية **وادي الحناء** التي سلّطت الضّوء فيها على قضية المرأة التي تكابد التهميش في مجتمع يسعى لإعادتها إلى مكانها المظلم.

تكمن أهمية البحث في التعرف على الذات الأنثوية وإشكالاتها مثلما هي ممثلة في المرأة الصحراوية وكيف ساهمت في كسر حاجز التّهميش وإعادة تشكيل الوعي بالذات.

لم يكن الدافع العلمي فقط هو ما شكل حافزاً، بل إنّ الاختيار صادر عن قناعة شخصية بأهمية البحث فيه، وكشف خبايا المرأة في المجتمع الصحراوي، ولكون الصّحراء حالة إبداعية جديدة في الرواية الجزائرية المعاصرة.

وراء كل بحث أهداف، وبحثنا هذا يهتم بالكشف عن الدور الذي لعبه المجتمع الصحراوي، في إسدال ستار الخمول والبلادة عن الوعي الأنثوي، حتى أصبحت المرأة في المخيال الثقافي عورة محصنة لا صوت يستظهر هويتها، وإلى أي مدى استطاعت الروائية أن تقدم رؤية بديلة فككت من خلالها المخيال الاجتماعي من أجل إعادة تشكيل الوعي بالذات الأنثوية.

ولذلك يطرح بحثنا إشكالية رئيسة تتعلق بتمثيلات المرأة الصحراوية في الرواية وطبيعة التّحول الأنثوي من بناء ثقافي إلى كينونة طبيعية؛ وتفرعت عن هذه الإشكالية أسئلة جزئية

منها، ما هي صورة المرأة الصّحراوية في مجتمعتها؟ ما حدود الخضوع والتحرر من هذه الهيمنة؟ وإلى أي مدى استطاعت الروائية أن تبرز الصراع بين صورتين للأنثى؟ ما هي تيماتها الأساسية، وكيف برزت مسألة الوعي بالذات؟ وما آليات إعادتها إلى المركز؟

افترضنا الوصول إلى جملة من الإجابات هي تفويض صورة المرأة في المتخيل الاجتماعي والثقافي وتبلور الوعي لدى المرأة وتمردها، وتحقيق ذاتها وتحول موقع الأنثى من المستوى الدوني إلى النموذج الأمثل في مجتمع يتعزز بكل ما هو بطريكي من خلال تعرية الذكورية وتأثيراتها السلبية.

اعتمدنا في تحليل مدونتنا على المزج بين آليات المنهج السوسيوثقافي التي تسمح لنا بتحليل الظواهر الأدبية، باعتباره فرعا من النقد النصوي العام الذي يهتم بنقد الأنساق الخفية تحت التشكيلات الجمالية في النصوص لذلك استعنا بالتأويل لتفكيك بعض الظواهر وتحليلها والكشف عن دلالاتها وخاصة ما تعلق بالرموز في مجتمع الصحراء.

وقد اعتمدنا على خطة تقوم على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، فالفصل الأول والمعنون "بالكتابة النسوية وسرد الصحراء"، خصصناه للجهاز المفاهيمي والمصطلحي للرواية النسوية، المركز، الهامش، وخصصنا الفصل الثاني المعنون "بصورة المرأة المهمشة وتمثيلات الطقوسية" للحديث عن مظاهر الدونية والإقصاء الذي مورس على الأنثى في المجتمع الصحراوي وتمثيلاته في الرواية. أما الفصل الثالث الموسوم "المرأة المتمردة وإعادة تشكيل الوعي" ركزنا فيه على إظهار أهم الوسائل التي اتخذتها المرأة لتحرر وكيف حققت مركزيتها، وأنهينا البحث بخاتمة رصدنا فيها جملة النتائج المتوصل إليها.

اعتمدنا في بحثنا على قائمة من المصادر والمراجع نذكر منها:

المرأة في الرواية الجزائرية صالح مفقودة، المرأة واللغة لعبد الله الغدامي، جدل النسوية

لمحمد بكاي.

وكباقي البحوث والدراسات لم يخلو بحثنا من الصعوبات المرتبطة بالجانب الصحي، ولكن لكل شيء إذا ما تم نقصان.

في الأخير أتقدم بأصدق آيات الشكر وعظيم الامتنان لأستاذتي المشرفة " آمنة بلعلی " التي تكرمت علي بالإشراف ومنحتني فخر الانتماء المعرفي إليها، والسير في درب العلم تحت عنايتها، والتي لولا حرصها العميق وتعهدها الجليل ورعايتها الفاضلة لهذا البحث ما كان ليرى النور، فلها خالص شكري وفائق احترامي اعترافا بفضلها علي.

كذلك أقدم الشكر ولا أوفيه لكل من الأساتذة " حكيمة حبي " و " لكحل سعدية " وأخصصهما بأعمق التماني على إرشاداتهما منذ وطأت قدمي حرم الجامعة.

والى الذين ساعدوني في العبور إلى بر الأمان، لكي يستكمل بحثي دورته في الاستواء، إلى هؤلاء الأفاضل من أهلي، إخوتي وأخواتي وكل من له فضل علي من بعيد أو قريب أجدد لهم شكري وتقديري سائلة المولى الله العلي القدير أن يثيبهم أحسن الثواب ويجزيهم عني خير الجزاء.

تيزي وزو في 2022/04/19

وهيبة فرات

# الفصل الأول:

## الكتابة النسوية وسرد الصحراء.

المبحث الأول: المركز والهامش

المبحث الثاني: الكتابة النسوية بين الرفض والقبول

## الفصل الأول: الكتابة النسوية وسرد الصحراء.

شهد الإنسان منذ القدم أشكالاً تعبيرية عدة، ولعل مرد ذلك كونه غير قادر على العيش بمفرده، فهو يحتاج إلى التواصل مع أبناء جنسه وللتعبير عن أفكاره ومشاعره لهذا «الأدب ظاهرة من ظواهر الوعي الاجتماعي لدى الناس المرتبط بالظروف الاجتماعية والتاريخية المتغير بتغيرها»<sup>1</sup>.

وقد كان الشعر من أهم الأشكال التعبيرية التي عرفها الإنسان، لأنه مثال متين وجزء رصين من الأدب الذي يلامس مشاعر الإنسان بقوالب وإيقاعات تجعل الأسماع والمشاعر مصغية له، كما نجد إلى جانبه النثر الذي لا يقل أهمية هو الآخر. فقد سبق النثر وجود الشعر «كونه أداة التواصل الأولى ووسيلة الخطاب البدائية وبه عبر الفرد عن حاجته»<sup>2</sup>. وهذا لا يعني أفضلية قسم عن آخر من الأجناس الأدبية، فالفنون الأدبية سواء كانت نثرية أو شعرية باختلاف أشكالها التعبيرية وآلياتها التكوينية تهدف للوصول إلى تأدية وظيفة فكرية أدبية، اجتماعية.

والرواية كجنس أدبي في الأدب الغربي حديث النشأة، على الرغم من أن الأشكال الروائية الأولى ظهرت بظهور الإنسان و«ارتبطت برحلته للبحث عن الغذاء وما يعانیه من مشاق أثناء رحلته ومن ثم أخذ يقص هذه الرحلات حين عودته، وما إن وجد تلهفاً وشوقاً له أخذ يضيف لها نسيج خياله أحداثاً ومغامرات، بهدف التأثير في متلقيه وشدة إليه»<sup>3</sup>. ولأن المعاني متعددة متنوعة، فهناك معنى معجمي لغوي ومعنى اصطلاحى استعمالى، وإن المصطلح يكتسي أهمية بالغة، فهو مفتاح لفك شفرات ذلك العلم، ولهذا رأينا ضرورة عرض لبعض منها وتحديدها.

<sup>1</sup> - نقلاً عن: ع. ن. يوسيلوف، تطور نظرية الفن في روسيا والمدرسة الجمالية الجديدة، تر: يوسف الخلاق، منشورات

وزارة الثقافة، دمشق، 1968، ص 221.

<sup>2</sup> - كارل برو كلمان: تاريخ الأدب العربي، ط5، دار المعارف، دب، دس، ص 19.

<sup>3</sup> - عبد الملك أشهبون: العنوان في الرواية العربية، ط1، دار محاكاة للدراسات، دب، 2011، ص 46.

اعتبرت الرواية الفن المستحدث الذي يعبر فيه الإنسان عن خلجاته، دون أن يحول بينهما شيء، وقد ظهرت الرواية مع الطبقة البورجوازية، وبسيطرة الطبقة الوسطى في أوربا وعدّها "جور عبد النور": «تصويرا للعادات والتقاليد والأخلاق تعكس الواقع فيها يتصدى فيها المؤلف لرسم جانب من الحياة الإنسانية ويترك شخصياته ضمن إطار اجتماعي معين... فكل ما هو واقعي أو ممكن وقوعه أو وهمي يدخل في نطاق الرواية»<sup>1</sup> التي تجعل لنفسها ألف وجه لتداخلها مع الأجناس المختلفة فهي: «تأخذ في كل عصر صورة مميزة وتكتسب خصائص تجعلها غير مطابقة لخصائص الرواية في عصر سابق». <sup>2</sup> لذلك تظهر في كل مرحلة مصطلحات ومفاهيم يقتضي التوقف عند بعضها.

### المبحث الأول: المركز والهامش:

أحدثت فلسفة ما بعد الحداثة شرخا على مستوى جميع المفاهيم المركزية التي كانت في الفترات السابقة مسيطرة، إذ أصبحت تدعو إلى تقديم بعض المفاهيم التي كانت على الهامش سابقا كحال النقد الثقافي الذي أضحى يخوض في مواضيع لم تكن مهمة كتمثلات المرأة في مختلف الثقافات والعادات والتقاليد، المركز والهامش، كما اعتبر نقد الهوية والخصوصية التي ترفض الصراع بين (الأبيض والأسود) من المرتكزات النقدية التفكيكية، وكون النظريات ما بعد الحداثية تدعو إلى التحرر من قيود المركز والانفكاك من اللوغوس. وساهمت هذه الفلسفة في تعرية الإيديولوجيات المتأكلة، وأعدت الاعتبار إلى كل من الهامش والعرف واللون، لهذا وجب علينا التعرض إلى ثنائية المركز والهامش لضبط الدلالة خصوصا أنهما مدارا بحثنا هذا.

<sup>1</sup> - جهور عبد النور: المعجم العربي، ط1، دار العلم الملايين، بيروت، 1984، ص 128.

<sup>2</sup> - حميد الحميداني: الرواية المغربية رؤية الواقع الاجتماعي، ط1، دار الثقافة، دب، 1885، ص 37.

يقترن المركز من الناحية الاصطلاحية بمجموعة من المجالات والجوانب (الديني، السياسي، الثقافي، الأدبي...) المتداخلة فيما بينها، ما يجعل فصلها عن بعضها ليس بالشيء الهين ولعل هذا التعالق هو ما يكسبها قيمتها، فمن الناحية الاقتصادية يتلخص مفهوم المركز «بمفهوم اجتماع جغرافي للدلالة على العلاقات القائمة بين قلب القوة والثقافة لمجتمع ما ومناطقه المحيطة»<sup>1</sup> وهذا ما يحيل على التقسيم الطبقي القديم للجماعة الواحدة، ما يشكل تناقضاً وفوارق فيها، فداخل جماعة معينة هناك (عبد و سيد و غني و فقير) وكل هذه الثنائيات تحاول أن تؤسس لثقافتها المغايرة، خلافاً لنظيرتها.

أما المركز سياسياً فيطلق على مكان تواجد القوة «فالدولة في مركزها أشد مما يكون في الطرف والنطاق، وإذا انتهت إلى النطاق الذي هو للغاية عجزت واقتصرت عما وراءها»<sup>2</sup> ما يعني ارتباط المركز بسلطة يأخذ منها قوته، التي تخول له إصدار الأحكام، فيصبح هو ذاته سلطة وما عداها هامشاً معارضاً.

وما يهمنا في هذا السياق هو ما يتعلق بالجانب الأدبي، حيث نجده يقترن مباشرة بالأدب أي أدب المركز الذي هو الأدب المتعلق بالسلطة والطبقة العليا «إنه الأدب البلاطي وأدب يشتغل بحياة الترف التي يحياها الخاصة من الساسة ورجال الدين أحياناً، إنه الذي يخدم الطبقة العليا في المجتمع لذلك فهو محتفي به ومحاط بالاهتمام والحظوة لأنه النموذج المكتمل الذي يحتذي به»<sup>3</sup> وهو ما يعني أن كل أدب صادر عن المؤسسة الرسمية ومطواع لها، ويندرج ضمنها.

<sup>1</sup> - ميشل مان: موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري، ط1، دار المعارف الجامعية، مصر، 1999، ص 99.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر " مقدمة العلامة ابن خلدون" دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2007، ص 173.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن تيرماسين، سورية (جيجيح)، إشكالية المركز والهامش في الأدب، مجلة المخبر، العدد 10، جامعة بسكرة، 2014، ص 30.

تؤكد العودة إلى التاريخ علاقة الصراع الملازمة بين المركز والهامش، ما جعل حضور الواحد منها، يستدعي الآخر بطريقة أو بأخرى، ونظرا للدور المحوري الذي شكلته في المقاربات الثقافية المعاصرة كجدلية الأنا والآخر، الأبيض والأسود، والمرأة والرجل، والهوية والغيرية وغيرها، لهذا تحاول الوقوف على دلالة الأدب الهامشي ومفهوم الهامش، حيث يعتبر مفهوماً فضفاضاً تتداخل فيه الكثير من الاتجاهات فهو يتسع ليشمل « كل المنبوذين والمقصيين من قبل جماعة ما ومن قبل مجتمع بأسره كالسود، الفقراء، النساء وغيرهم لهذا نرى بعض المفاهيم تدل بصورة طبيعية على المهمش مثل مفهوم مصطلح الآخر، فالآخر غير الذات سواء أكانت الذات فردية أم جماعية، ولما كان السود آخر للبيض الفقراء آخر للأغنياء فإن هذا يعني أن الأبيض هو الذات المركزية، ومن هنا فالآخر هو الكائن المختلف عن الذات»<sup>1</sup>. فالهامش مرتبط بالآخر المقابل للذات وهولا يقتصر فقط على نوع واحد إنما يتعدد ليشمل تلك الشرائح فقراء/ أغنياء، نساء/ رجال لأنه يشتغل على أفق من الثنائيات الضدية.

وربط الهامش بالجانب الإبداعي الأدبي يعني أنه مقابل لأدب المركز حيث «كل أدب ينتج خارج المؤسسة سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو أكاديمية، الذي يقع بعيدا عن الرعاية والاحتضان، بل ويجري العمل على نبذه واستبعاده عن الدائرة ولا تسلط عليه الرقابة»<sup>2</sup> يعد هامشا، ولذلك فالهامش الأدبي يلامس كل إبداع يخوض مسائل المعارضة السياسية، قضايا الأقليات، كالمسكوت عنه، والكتابات الجدارية التي يبرز فيها الأفراد مواقفهم السياسية، بل إن كل خروج عن المألوف وعلى النظام المعتمد يعد هامشيا كحال شعر الصعاليك، وشعر المعارضة السياسية، فالصعاليك خرجوا على نظام القبيلة بحثا عن العدالة الاجتماعية في توزيع الثروات، وإلى جانبها نجد الأدب النسوي الذي كان محط

<sup>1</sup> - هاني نعمة: شعر المهمش في عصر ما قبل الإسلام، منشورات الاختلاف، ط1، دار الفكر، البصرة، دس، ص 19.

<sup>2</sup> - حسين الصحرابي: أدب محمد شكري في الهامشية إلى المركزية، مجلة علامات، مكناس، العدد 18، المغرب 2002،

ص 09. إطلع 2021/08/21 على 11:55 موقع: <https://www.saibengrad.net>

جدال في الوسط النقدي فقد اعتبروه هامشيا للقضايا التي يعالجها المؤلف فقد قيل في الهامش الأدبي «كل أدب منبوز متمرد ومتجاوز لسلطة المركز وقد شاع تعبير أدب الهامش المهمشين في السنوات الأخيرة شيوعا واسعا لذلك انتشرت فكرة التهميش مطلقة ديناميكية التخلي والنبذ... فهو في أبسط معانيه الأدب المتجاوز للمألوف والمتمرد على التقاليد الفنية السائدة»<sup>1</sup> فهو أدب متمرد لكونه ينبش في جذور القضايا المتوارية والمسكوت عنها سعيًا، لإظهار الحق وتحقيق التكافؤ والعدالة الإنسانية.

أشار ابن خلدون لقضية الهامش الأدبي بقوله «المغلوب مولع بإتباع الغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده»<sup>2</sup>. وهذا المغلوب تنخره سياسة التبعية حتى تهميشه، لهذا هو عبارة عن تقليد لأدب المركز السائد من جهة، لكن دون أن يغفل كون هذا المغلوب يقلد لكن يتجاوز حين يستنطق المسكوت عنه، كذلك نجد لغة الهامش مغايرة للمركز لأنها علامة انقلاب عن هذه الهيمنة لهذا يعدّ «هو أحد تجليات الخروج عن سلطة المركز وهيمنته بما تمثله لغة المركز من فحولة ومركزية ومن خلال هذه اللغة تمثل ثورة على المركز لهذا نصفها أنها لغة كتابة الهامش ويمكن أن تسيد خطاب الهامشي المستبعد من قبل المركز»<sup>3</sup>.

يبدو أن الأدب الهامشي بما فيه الأدب النسوي المندرج تحت لافتة التمرد، هو إنتاج لا يعترف بالمنطقية ويخترق الطابوهات الأخلاقية والردهات المحرمة والدوغماتيات الأبوية المتسلطة.

وكون النقد الثقافي أهم اتجاهات ما بعد الحداثة، الذي تبني فكرة الأصل متوجهاً إلى معالجة ما هو هامشي، فإن كل من المركز والهامش ثنائية ضدية تكرر الأولى وتلغي

<sup>1</sup> - سليمة خليل، مشفوق ذهبية: الأدب النسوي بين المركزية والتهميش، أرشيف مجلة تقاليد، العدد 2011/12/02، جامعة بسكرة، ص 30.

<sup>2</sup> - ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2007، ص 56.

<sup>3</sup> - هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافية، ط1، دار رؤية للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ص

الآخر، وهما في علاقة صراع موازية وتشبه الصراع بين الأنا والآخر، ما يعني أن إشكالية المركز والهامش أزلية هي الأخرى بحكم العلاقات الإنسانية المعقدة.

على الرغم من الصّراع والتّنافر المحكوم عليهما، لكنهما متكاملان معا تكامل المتن وحاشية الكتاب، خصوصا أن الحديث عن الأدب الهامشي يحمل كثير من الإيديولوجيات ويركز عليها بزيادة مقارنة بجانبه الجمالي والفني، كما سنلاحظ عند التفصيل في الأدب النسوي/ النسائي المنطوي تحت لواء التهميش لمدة ليست بقصيرة، وكيف اتبع هذا الإبداع نهجا صعبا ليحتل المركز أو يقترب منه كأدى تقدير.

ولذلك تعبر قضية المرأة من أهم المسائل التي يجب إعادة النظر فيها، ومحاولة إزالة الستار عليها، وإحيائها من جديد. لهذا كان الباعث الحقيقي لطرح ومعالجة هذا الموضوع؛ الذي يهتم في محتواه إلى دراسة واقع المرأة في العصور الماضية، والعصر الحالي لمعرفة ما كانت تعاني منه المرأة من ظلم واحتقار من عائلتها وقبيلتها، وأيضا المجتمع الذي تسكن إليه، فالكل ينظر إليها نظرة احتقار، بالرغم أنها كانت المدرسة والقاعدة الأساسية في تكوين وتربية الأجيال؛ لكن هذا لم يشفع لها بأن تأخذ حقها الذي منحته إياها الطبيعة.

وسوف نتبع من خلال مجموعة من النقاط كيف تجلت معاناة المرأة في مجتمعها، إننا ونحن ننظر إلى التاريخ ونقرأ في رأس الصفحة، نلمس هذا الاستلاب الوجودي لها، فإذا كانت الجاهلية مارست وأد البنات، فإنّ هذه الخطيئة لا تزال تمد جذورها حيث أضحى يمارس عليها محنة الواد الثقافي.

سلبت الثقافة من المرأة حضورها كالكلام وحرية التعبير، ولذلك تؤكد "أحلام مستغانمي" أنها وجدت للتحدث بلسان الرجل ما سهل عليها الكلام والسرد وجعلها تقول ما تعجز عن قوله مخافة السلطة الأبوية ناهيك عن الجاهلية التي لم يكن لها حتى حق الإرث، فإذا مات الرجل ورثه ابنه حتى في الزوجة أو لم يكن للمرأة حق على زوجها، ولم يكن للطلاق حدّ، ولا لتعدد الزوجات عدد معين، وكانت تكره على فعل الزنا طلبا للأجر المادي،

هذا ما يعني أن المرأة كانت تجوب في "مزاريب ضيقة"، حيث طمست الثقافة حقها الطبيعي الذي أرساه الدين فتقول "مي غصوب" عن موقف الإسلام من المرأة «إن موقف الدين بوصفه وحيا منزلا ودين فطرة يعطي المرأة حقها الطبيعي، ولكن الثقافة بوصفها صناعة بشرية (ذكورية) تبخس المرأة حقها ذلك وتحيلها إلى كائن ثقافي مستلب هذا ما يجعل تاريخ المرأة استشهادا طويلا»<sup>1</sup> ولهذا صاحب هذه المحنة الطويلة هاجس التمرد الذي نجده في كتابات المرأة عبر العصور.

عرفت الذات الأنثوية تغييرا في الساحة الإبداعية منذ القديم، إلا أنها حاولت أن تثبت وجودها في كل مرة، بعد أن أدركت بإقصاء من الطرف الآخر، فالشعر لم يخلق للرجل والكتابة كذلك، وإن تمرد المرأة على التقاليد والأعراف السائدة في المجتمع يشكل علامة بارزة خاصة في الموضوعات التي تعكس ألم الأنثى.

شكلت الكتابة النسوية مجالا لإعادة النظر بحفر في كل التصنيفات والمقولات التي تجذرت داخل العقول ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، وسعت سعيا حثيثا لكشف وتعرية كل استراتيجيات التغيب والتعنيف الذي مورس ضدها وجعلها كائنا دونيا من كل النواحي، فإذا كانت ما بعد الحداثة تقوض أفكار الحداثة وتتقدها وتطعن فيها، وفي المقولات المركزية وفي كل شيء ثابت وتدعو إلى التعدد، كذلك حال النسوية فإنها تقوض صرح الهيمنة الذكورية بالوقوف على أهم الوسائل التي اتخذها الرجل لفرض سطوته عليها.

تنطلق النسوية من هذا المتمركز على ذاته والذي اعتلى أقصى الهرم متجهة نحو الآخر المهمش (الأنثى) لتشق نهجا لها بالدعوة إلى تجاوز كل الحواجز التي تعترضها؛ أي انطلاقة صارخة من المركز وسرد كل ممارسته عليها، ومن النقطة ذاتها تتخذ فارقا أساسيا لتثبت ذاتها كإنسان له وجود وكيان، وما هذا التقسيم على حساب الجنس إلا طيف اكتساه المخيال الاجتماعي الثقافي اللاواعي، ولم تتهاون كما يقول "محمد بكاي" في «فضح

<sup>1</sup> - مي غصوب، موقف الإسلام من المرأة، مجلة المخبر، العدد3، جامعة بسكرة،س2010 ص 30.

الخطابات الذكورية»<sup>1</sup> التي رسمت صورة سلبية عن المرأة باعتبارها مجرد جسد ناقص، دورها تحقيق وملء الشهوة لا غير.

ما فتئ القول أنّ اللغة تسيطر على الواقع والعالم لمن يحسن اللعب بها ويسخر أدواتها، فللغة علاقة بين العالم والواقع، ويظهرها الفرد بالكتابة للحصول على رغباته، ومن تحكم في سرّها واستدرج العالم بها، فقد امتلكها، واللغة لمدة طويلة ظلت في صالح الرجل لهذا يقول " ابن جني " «الأصل في اللغة التذكير»<sup>2</sup> ليظهر بعد فترة أخرى أنّ اللغة في أصلها أنثى، لكن ضاعت هذه الصفة بعد هيمنة الذكر وهو الرأي الذي نادى به "نوال السعداوي"، من هنا كان السعي حثيثاً لاسترجاع المسلوب، مناصفة الأنثى من سلطة الرموز الثقافية، ومنه شرعت المرأة تكتب لتستعيد ما أضاعته لكون اللغة تشكلنا كما نريد، فترفع أقواماً وتذل آخرين، بل لم تعد اليوم مجرد قالب لأفكار، إنّما هي استنطاق للذات واختراق لأعماق البنى بكل أنواعها، وهذا ما ناضلت لأجله المرأة بصفة عامة لإثبات ذاتها بدخول عالم الكتابة، وتأسيسها لأدب خالص ناطق باسمها تشحنه بالطاقة الكامنة والتي لا يعلم حقيقتها إلا الجنس الأنثوي.

### المبحث الثاني: الكتابة النسوية بين الرفض والقبول.

جاء الإبداع النسوي بغية إثبات هويتها وكيانها الوجودي وللحفر في الذاكرة الثقافية والمخيال اللذين جعلوا منها النسخة السلبية للرجل، كما وصلنا أدبها مشبعاً بالتساؤلات والاستفهامات حول تلك السيّجات والأسوار والكوابح الثقافية، والصور النمطية التي شرعتها التصنيفات الطبقيّة والتمركز الفحولي، مع الإلحاح في التنقيب داخل جيولوجيا الهندسة الاجتماعية لاستصلاح الوهم الثقافي واستيراد الهوية، وإعادة بنائها، لهذا كان دخول المرأة لعالم الكتابة عبارة عن تحول من صفحة بيضاء يكتب عليها إلى قلم نافث رافض وصفحة

<sup>1</sup> - محمد بكاي: جدل النسوية فصول نقدية في إزاحة الدوغماتيات الأبوية، ط1، دار الأمان، الرباط، 2019، ص 22.

<sup>2</sup> - أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دط، دار الكتب العربي، بيروت، 1952، ص 33.

مسودة بسياسة الغالب وفي هذا الصدد قيل «كتابة المرأة هي خروج وانتقال من الذات المضافة إلى الذات المضاف إليه».<sup>1</sup> أي من التابع إلى المتبوع، ولما كان الوعي هو المهم التتويحي الذي تسعى إليه كل فئة مهمشة، فإن الكتابة الأنثوية علامة بارزة على وعي جديد تتربع على عرشه النساء.

غير أنّ الإشكال الممكن تداوله قبل التطرق إلى جوهر هذه السردية النسوية عند المرأة هو المصطلح ذاته الذي انحصر بين النسائي والنسوي، ما يعني أن تداول هذا المصطلح لا يعني وضوحه فأفضل فارق بينهما هو ما أشارت إليه "شيرين أبو نجا" بقولها «تلزّم التفرقة دائما بين نسوي أي وعي فكري ونسائي جنس بيولوجي»<sup>2</sup> ورغم التمييز بينهما إلا أنّ المعجم العربي لم يفرق بينهما فكلاهما يعتمد النسب إلى جمع امرأة.

تأرجح مصطلح الكتابة النسوية بين الرفض والقبول في الساحة الأدبية والنقدية على الرغم أنه مفهوم متداول عني به الدرس النقدي الحديث والمعاصر، خصوصا نظريات ما بعد الحداثة كالنقد الثقافي والنقد النسوي الذي ولد من رحم الحركة النسوية الغربية، لكنه ظل مصطلحاً غير مستقر وثابت، يكتنفه غموض وتذبذب، وأضحى محل جدال في الأوساط النقدية، انشطرت المواقف بين رافض وقابل له ولكل حجته.

فعلى سبيل التمثيل لا الحصر نجد "حسين نجمي" يورد قول "خالدة سعيدة" الراضة بذريعة أنه: «مصطلح شديد الغموض وشديد العموم وهو من التسميات الكثيرة التي تشبع بلا تدقيق... وإذا كانت عملية التسمية ترمي أساسا إلى التعريف والتصنيف فإنّ هذه التسمية على العكس تبدأ بتغييب الثقة وتشويش التصنيف، فهذه التسمية تتضمن حكما بالهامشية مقابل مركزية مفترضة»<sup>3</sup> يبدو أن جوهر الرفض راجع للدونية والصورة السلبية

<sup>1</sup> - عبد الله الغدامي: شعرية الفضاء السردي المتخيل والهوية في الرواية العربية، ط1، الدار البيضاء، 173.

<sup>2</sup> - شيرين أبو نجا: نسائي أم نسوي، ط1، مكتبة الأسرة، الهيئة للكتاب، 2002، دب، ص 03.

<sup>3</sup> - حسين نجمي: شعرية الفضاء السردي، المتخيل والهوية في الرواية العربية، ط1، الدار البيضاء، المغرب، س2000،

المحكومة بالدونية التي يعكسها على المرأة والتي حسبها جاءت لتهميش المرأة وإبداعها وتكريس الفارق بينها ونظيرها (الذكر).

أما ضمن الاتجاه المؤيد نجد "بثينة شعبان" التي تقول بأن: «العمل الروائي النسوي يعبر عن وعي المرأة لأبعاد العلاقات الاجتماعية وجذورها والمغزى البعيد للعمل الأدبي يجعل ولا شك من هذه الصفة نسائي صفة قيمة يحق للكاتبات أن يفخرن به بدل أن يتجنبهن»<sup>1</sup> فحسب "بثينة شعبان" الكتابة النسوية هي السردية التي تجسد وعي المرأة بذاتها وما يحيط بها، ولتجنب الوقوع في هذه الإشكالية التي يتخبط فيها النقد العربي، فيكفي القول أنّ هذا الأدب صادر من إنسان بين الجنسين دون تفاضل وتبني قضايا إنسانية.

أضحت إذن التجربة الإبداعية النسوية والحديث عنها مغامرة محفوفة بالمخاطر، لأنها ذات صلة وثيقة بالمجتمع الذي ترصده عن كثب، وإن قلنا الواقع بلاغ فإن الأدب إبلاغ، وهذا ما يعقد المسألة، لأنّ خلف كل كتابة أنساقاً وقضايا تبوح بها، بل إنّ أغلب الإبداع النسوي جاء لرد الاعتبار للمرأة وتحريرها وبيّين أنّ قمعها وليد المجتمع أو التركيبة الاجتماعية، لكن هذا النوع من الإبداع يرى كيف سلب ثقافة الفكر واستبعد العقل والموهبة عن النساء عامة وجعلهن يعبرن ويستعرن أحياناً لسان الرجل لكي لا يطفح عليهن كيل العرف، بل قد يذهل حين يعلم كيف أنّ سياسة التهميش والقمع رافقتهما حتى إلى الحلم.

السرد النسوي هو ذلك الفن الذي تسعى به المرأة لتعرية الواقع وكشف المخبوء تحت الجمالي، وذلك من خلال رصد الطرق التي يسلكها الرجال والمجتمع للقضاء عليها، وفضح الممارسات اللاأخلاقية ضدها التي تفتت على كل الأصعدة، بل هي كتابة تجسّد وعي المرأة بحيثيات قضيتها وإبراز صراعها مع المحيط، بالرغم أن البعض يعتبرها مجرد ظاهرة

<sup>1</sup> - بثينة شعبان: الرواية النسائية العربية، مجلة مواقف، عدد 70، ص 233، نقلا عن حسين المناصرة: المرأة وعلاقتها بالآخر، ص 356.

إبداعية تزول بزوال أو انقضاء دوافع وظروف الإنتاج، ستظل الرواية النسوية خاصة، إضافة متميزة إلى الإنتاج الأدبي بصفة عامة.

وفي ظل الحديث عن السردية النسوية التي دافعت عنها تيارات عديدة، فإن ما يميزها أنها إبداعات مشحونة بالتفكير المتواصل لكسر الأعراف الكابحة للذات والشفافية، وسطوة اللغة التي كانت في قبضة الرجل واستفحل بها.

هكذا سعت المرأة جاهدة في بلورة ميكانيزمات فنية، جمالية مؤنثة بالإيديولوجيا، وتتطلق من كونها (معنى) لا معنى له إلى لفظ مؤنث، ومعنى مفيد يحاول إثبات ذاته، بقلب معادلة القلم للذكر واللغة للرجل، وبالعودة إلى سرد تاريخ طويل حافل بالتهميش والإقصاء، أي الرجوع إلى الوراء بخطوة لسرد المعاناة الأولى التي لازمتها حية، وما هذه العودة إلى الماضي سوى رجوع لكي تبتعد وتندفع بخطوات متواترة إلى الأمام لتصدي الحقائق المزيفة التي أصلها الرجل (الذكر) والحفر في هويتها الحقيقية. «لهذا تطالب نسويات حركة ما بعد الحداثة بالتفكير بشكل متوال صوب الاستقلال الهوياتي والبحث الذاتي العميق عن مشروع تحرر المرأة عن ذاتها المتخيلة، رؤية مستقبلية تطرح فيها الأنثى بعيون الأنثى»<sup>1</sup> بمعنى كف تحيا المرأة في ذاتها خارج السياجات الثقافية.

ركزت " جوليا كريستيفا" في النظرية النسوية، لقلع وتجاوز مفاهيم السلب التي لصقتها الخطابيات الذكورية، وإزاحة القناع الذي وشحها، بل تركزن لكشف الوجه الحقيقي للأنثى، ولم تتوان "لوس إريغاري" خصوصا في كتابها " إشكالية الهوية النسوية" بتقويض العقليات السابقة وأعدت تأويل كل المواضيع التي تخص المرأة حيث قامت «بإعادة تأويل وتفسير ما يتصل بالعلاقات مع المرأة، ومواضيع العالم الخارجي في كل ما له أن يوطد صلتها خطابيا بفضاءات أنطولوجية جديدة تنصهر فيها علاقات التفاعل أو الاحتواء أو العطاء

<sup>1</sup> - محمد بكاي: جدل النسوية النقدية، ص 15.

المتمثلة في الأمومة والزواج».<sup>1</sup> من هذا الرأي النقدي نرى كيف نستحضر الصورة السالفة والمستقبلية التي جعلت المرأة جنس بيولوجي وتخلصها من هيمنة التبعية الرجولية. ظلت الصحراء لمدة، فضاء هامش ومنسي لا توصف إلا من حيث كونها ذلك الخلاء الموحش والعراء، لكن بمجرد تنبه الروائيين الجزائريين للتشكيلات الفنية لها، وأهملت تيمة الصحراء قرائحهم، حتى جادت بصور مستملحة عن مكان ظل مهمشا وحولوا معالمه المنبسطة على الأسطورة إلى علامات ناطقة وحاولوا إعادة تشكيل وتفكيك المركز والفضاء الأول (المدينة) ليتحول الهامش إلى مركز يزاحم بكشف المنسي ويكسر السائد الذي هو وريث وحيد للمدينة، ويتفطن أبناء الصحراء (الذكور) لوعي الكتابة عن هذا المكان الجلي أمامهم.

توالت الكتابات السردية الجزائرية حول الصحراء، ولعل " رشيد بوجدره" و"الحبيب السايح" من الأوائل الذين اكتشفوا عوالم الصحراء الجزائرية، عندما حتمت عليه الأزمة الأمنية اللجوء إليها، وواصلت الاكتشافات لهذا الفضاء مع تأثيث الروائي الليبي "إبراهيم الكوني" عندما حوّل هذا المكان إلى بؤرة سردية لهذا فقد حظيت الرواية الجزائرية المعاصرة بنصيب كبير بالتعامل مع التراث بشكل عميق وإعادة إحيائه من جديد.

كما منحت الرواية المعاصرة للتراث بعداً متميزاً، لهذا جاءت الصحراء كفضاء جغرافي وتراثي يسعى الكثير من الروائيين إلى سبر أغوارها وكشف أسرارها ومكنوناتها، وكانت البداية مع سردية الرجال لكونهم السابقون لذلك، لينضاف فيما بعد سردية النساء بالعربية، والتي قادتها "جميلة طلباوي" فهي الرائدة الأولى التي نبشت في كنوز الصحراء، وهي السبّاقة للتأريخ لها، ولما يزخر به هذا الفضاء الجغرافي الذي أستبعد عن الإبداع سابقا، وكانت روايتها "الخابية" وخصوصاً "وادي الحناء" أهم النصوص التي قاربت من خلالها محاولة الانتقال داخل الفضاء الصحراوي، لتعود إلى " أدرار" باحثة عن سر الحكاية في رمزية "

<sup>1</sup> - Luce Irgary, le temps de la différence pour une révolution pacifique, نقلًا: محمد بكاي: جدل

النسوية النقدية، ص 27.

الحناء " الوادي" وما ورود المكان "وهران" داخل متنها الروائي إلا لمنح أدرار بعداً استقطابياً عبّر عن عطش الذات للفراغ والامتداد لهذا جاءت سرديات الصحراء كنتاج لعلاقات الإنسان ببداياته، أي الانتقال من السّتر إلى العراء.

إن رواية " وادي الحناء" لجميلة طلباوي" تبين لنا كيف تسعى هذه الذات الأنثوية بعد ربح من الغياب، والذي ظلت فيه مجرد شكل، ولتقدم نظرة عميقة وتأويلية، خصوصاً من ناحية الثقافة الشعبية، وما ألحقته من إحفاف في حقها، لهذا عادت النساء للبحث عن هويتهم من أجل الاعتراف، والذي يعدّ جرماً في دستور الرجل.

ورواية " وادي الحناء" لـ "جميلة طلباوي" رواية اجتماعية بالدرجة الأولى حاولت من خلالها أن تلامس جوانب عدة منها (الاجتماعي، الديني، الاقتصادي، الفكري والثقافي) والتوغل في اثولوجيا هذا المجتمع الصحراوي بحفرها في الثقافة الشعبية الأدرارية، وما تحمله تلك الطقوس من دلالات مبطنة في ثوب إبداعي كحديثها عن الحناء، الزفاف، الزواج، العاشوراء... الخ وما إلى ذلك من الأعراف والشعائر.

سعت الروائية من خلال روايتها إلى تشخيص التعارض القائم بين المجتمع والفرد، وبسطت لنا الأرضية على جدلية الأنا والآخر وبروح إنسانية متعالية عن كل سوء، خصوصاً بتركيزها على ثنائيات (أبيض. الأسود، الريف/ المدينة، المركز/الهامش) التي تشكل بنية نسقية ثقافية كما سعت إلى نقل المرأة من فاعل ثانوي مهمش إلى كائن مؤثر ومركزي وهذا من خلال بطلتها "عويشة" (وريقة الحناء) كما نجد إلى جانب هذا الصراع المركزي بين المركز والهامش (الرجل/ المرأة) هناك صراع الهوامش مع بعضهم وهذا ما نلمسه من صراع زوجات الشيخ، والخدم.

تجري أحداث الرواية في فضاء صحراوي بعيداً عن التّمثلات النمطية لهذا الفضاء الجغرافي لهذا جعلت الروائية قصر "سيدي الشيخ" هو الحيز المغلق والمركزي الذي يعج بالحركة والذي تتوالى فيه الأحداث، لتنتقل بالأحداث أحياناً إلى فضاء المدينة (وهران)

لتمييز التباعد بين هذين العالمين وهذا ما جعل ثنائية الريف/ المدينة صورة لتجاذب المركز والهامش.

تتراوح أحداث الرواية بين رضوخ المرأة للعادات والتقاليد، وكسر قداستها، وتبدأ "جميلة طلباوي" بسرد أحداثها عامة وذلك بتقديم مفهوم الحناء المرتبط بالثقافة الشعبية وخاصة الأعراس فتعرفه «زينة شعر النسوي النسوة» كما تقدم طرق وضع الحناء للعروس تكون في البداية بالبخور وتأتي خالة العروس محضرة إناء الحناء، لتنتقل مباشرة سرد الحياة الجماعية للمرأة الصحراوية وما تتمتع به من ذكاء لتسرد أجواء العنصرية التي تعاني منها مع زملائها في الجامعة التي التحقت بها في العشرينية السوداء بسبب لون بشرتها السوداء، وتواصل حديثها كيف كانت بطلتها "عويشة" تقدم نفسها أينما حلت أنها ابنة وادي الحناء، وكانت تنتقل من أدرار إلى وهران وبطريقة فنية ومفارقة زمنية ترجع للحديث عن مرحلة الشباب والجامعة إلى سن الشيخوخة (حياة مريم) حيث تستطرد في رسم تفاصيل الفضاء الصحراوي الذي عاشت طفولتها فيه وهكذا كلما انفكت عقدة تتعد أخرى.

تحكي باختصار رواية وادي الحناء عن صراع المرأة الصحراوية قديما بين الطابو والحلم في المجتمع الأدراري البطريكي، كما حاولت تفويض الفضاء الصحراوي من خلال بطلتها التيمماوية السمراء التي تصطمم بفوارق اجتماعية قاهرة، أي نسق اللون بينها وبين حفيدات الشيخ وخدم الزاوية، وهنا تبدأ رحلة إثبات الذات والبحث عن مخرج من دائرة الهامش المحكمة بالعادات وتجاوز الإرث الاجتماعي الثقافي الذي يجعل لونها يحدد مصيرها، وتحركه وفق ما يخدمها.

كما لم تهمل ذكر أشكال احتقار الرجل للمرأة وهو يملأ البيت بالجوازي، والتعدد الزوجي بدافع الشهوة، والظلم الاجتماعي المضمّر الذي يسجنها في البيت وافتخاره أنها حرمة لا تخرج إلا محمولة على النعش.

# الفصل الثاني:

## صورة المرأة المهمشة وتمثلاتها الطقوسية.

المبحث الأول: المرأة النمطية ومظاهر الامتثال للثقافة.

المبحث الثاني: استغلال الدين في الهيمنة

## الفصل الثاني: صورة المرأة المهمشة وتمثلاتها الطقوسية.

لقد كان مشروع النقد الثقافي هو النبش في المسكوت والأمور التي تعتبر طابوهات فحسب "الغذامي": «يكشف النقد الثقافي الحيل الثقافية في تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل خفية وأهم هذه الحيل هي الحيل الجمالية التي من تحتها يجري تمرير أخطر الأنساق وأشدها تحكما فنيا»<sup>1</sup> ما يعني أنّ الإبداع فيه قبح كامن وجمال ظاهر، لهذا جاء توظيفنا لاتجاه النقد الثقافي بهدف استكشاف الأنساق المتوارية داخله، والنسق هو بمثابة اقتناص على الكيانات الداخلية، بل هو الكيفية التي تتواري فيها المحددات والموجهات الثقافية في النصوص الجمالية، والقبحيات (كما نعتها الغذامي) الكامنة خلف ذلك الزخم اللغوي الجمالي، ووراء البنى النصية التي تتوحد وتتسجم لتشكل خطاباً يخفي عناصر الثقافة المدنسة، والنسق حسب الغذامي «هو دلالة مضرة، وإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من المؤلف، ولكنها منكتبة ومنعسة في الخطاب، مؤلفتها الثقافة ومستهلكوها جماهير اللغة، يتساوى في ذلك الصغير، الكبير، المهمش مع المسود»<sup>2</sup> فهو ذلك النظام الداخلي والجمالي المشبع بالأيديولوجيا والثقافة الموجودة في الخطاب، والدلالة تتكشف بقراءة ما بين السطور والتوريات والرموز، لهذا تحليلنا سينصب عليها، حتى تتبين طرائق إشتغاله، وكيفيات بناء دواله في البنية الصحراوية.

### المبحث الأول: المرأة النمطية ومظاهر الامتثال للثقافة.

باتت المرأة صاغية لسلطة المجتمع وأوامره دون تعقيب، ففرض عليها الرقابة التامة لكي لا تسعى للسؤال، وهكذا أضحت حبيسة الجدران الأربعة، وامتثلت للعادات والتقاليد عنوة، بل تمادى الأمر إلى أن مارسها دون وعي منها بمحبة زرعها اللاشعور الجمعي

<sup>1</sup> - عبد الله الغذامي: الكتابة ضد الكتابة، ط1، دار الآداب، بيروت، 1991، ص 16.

<sup>2</sup> - عبد الله الغذامي: نقد ثقافي، قراءة في الأنساق المضرة، ط3، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، دس،

فيها، وبتكرارها لهذا التصرفات العبودية، أطلق عليها اسم المرأة النمطية المنحصرة في دوامة الإنجاب والإشباع الجنسي لهذا استوجب علينا التوقف عند مصطلح النمطية قبل الولوج في علاقتها بالثقافة وغير.

مصطلح النمطية يشير إلى امتثال المرأة للتقاليد الاجتماعية والاستسلام لها، والتتكر للربغبات الذاتية «إنها ابنة المجتمع الأبوي المتمثلة لموروثه والصادرة عنه، القانعة بقيمه والمحافظة على مثله حتى لو عانت منه، إنه كالقدر الذي قد يكون مدمرا لا سبيل لرده أو الثورة عليه».<sup>1</sup> بل إن ما يؤدي إلى الإعجاب الغير المشروط، الذي يبلغ التقديس هو أنّ المجتمع يجد تبريرا لكل ما هو غير معقول ويجعله مقبولا لمجرد أنه وارد في التراث دون وعي، وهذه هي الجنحة إن لم نقل الجريمة التي نتورط فيها، ومن هنا نجد المرأة تصرخ بألم وتدعو إلى تجاوز الخطاب الذي يحط من شأنها في ظل التخلف، دون أن ننسى المرأة الخاضعة بحكم الجهل.

فرض المنظور الاجتماعي على المرأة قيودا تربوية وسلوكية وهذا هو الدافع الحاسم الذي أدى إلى التمرد الأنثوي الذي سنعالجه فيها بعد في مواجهة السلطة الذكورية.

ينظر المجتمع الصحراوي للمرأة على أنها جسد فقط، مهمتها إمتاع الرجل أو الذكر والإنجاب، بمعنى مهمتها بيولوجية، فالمجتمع لا يعترف بحياة المرأة خارج الأسرة وتحت حماية الزوج وتمثل ذلك " جميلة طلباوي" في الرواية تقول على لسان الساردة « لم يعد سي عثمان يطيق البقاء بلا طفل... يرغب في الزواج بامرأة ثانية تنجب له الولد». <sup>2</sup> وهذه الفكرة تتنامى داخل المتن الروائي، فحتى خادمة القصر "زازة" تتأسف على وضعية الأنثى العقيم فتردد المأساة بعبارة «الله ليك بالمحروم من الذرية»<sup>3</sup> نستخلص أنّ عقم المرأة يؤدي بها الطلاق بل حتى التي يغدق عليها رحمها بالأنثى، فقط طالتها المعاناة فكأن ولادة الأنثى

<sup>1</sup> - إيمان القاضي: السمات النفسية والفنية للرواية النسوية، ط2، دار معارف، بيروت، لبنان، 1985، ص 32.

<sup>2</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ط1 دار ميم للنشر، الجزائر، 2018، ص 68.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

عيب، ولا يحق الاعتراف بها، مما يبدو أنّ المرأة وحدها من تتحمل مسؤولية العقم في عرف المجتمع التقليدي، فالأحاديث اليومية التي تتناقلها شخصية الخادمة الرئيسة بقولها «إن سي عثمان طلق زوجته لالة مليكة لأنها لم تنجب له الولد الذي يحلم به، فهو بمثابة الوريث الشرعي والوحيد لدي سيدي الشيخ».<sup>1</sup> فالأولاد السلاح الوحيد الذي تواجه به المرأة المجتمع لكي تسكته وتعيش في أمان.

يعد طلاق شخصية "لالة مليكة" زوجة الشيخ لعقمها، حقيقة مرة، تكشف لنا أن المجتمع حصرها في الوظيفة البيولوجية فحسب، وأكدت الروائية هذا وتحدثها بضمير المتكلم بقولها «إنّ الأم التي تكرر ولادة البنات ولا تلد فارسا قد تتعرض للطلاق».<sup>2</sup> إنها تكشف عن التناقضات المعشعشة في البنية الفكرية الأبوية، وتفضح كيف يتم التصنيف الجنسي وممارسة الوأد حتى قبل خروجه للعالم، فزرع المجتمع فكرة سلاح المرأة هو الولد الذكر لا غير، وهذا يتنافى تماما مع ما حددته الطبيعة وما شرعه الدين.

ولذلك ظلت المرأة في الفضاء الصحراوي خاصة عورة يجب سترها وقيدها خصوصا بعد البلوغ، ونلتمس كذلك جانب الحرمان في شخصها من خلال الرواية حيث وجدنا حفيدات سيدي الشيخ واللواتي يغلب عليهن الرّضوخ للعادات والأعراف، فهن الحفيدات المعزولات عن العالم الخارجي والمحرومات من حقوقهن، والثّافذة التي تظهر لنا هذا الواقع المؤلم جلي من خلال الحوار الداخلي للشخصية المحورية والبطلة "عويشة" «لمست الفارق بيني وبين حفيدات سيدي الشيخ، إذ كانت تلك آخر سنة يخرجن فيها فقد وصلن مرحلة البلوغ وأصبحن ملزمات بإتباع عرف العائلة الكبيرة وعدم مغادرة البيت كونهن حفيدات الشيخ»<sup>3</sup>. واضح جدا كيف استغلت المكانة الدينية في فرض الحجر عليهن دون شعورهن.

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 68.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 98.

إذا أردنا أن نبحث عن صورة المرأة النمطية الخاضعة والريفية بعمق نجد أنّ رواية "وادي الحناء" قدمت لنا "لالة حليلة" كأنموذج للأنثى المهمشة المغلوبة على أمرها، ولا تعترض في تصرفاتها على ما يريده المجتمع، فهي مسلوبة الحقوق، ومن ثم تشعر أنها بحاجة إلى ذكر في المجتمع الذي لا يعترف بوجودها.

"لالة حليلة" كائن مستضعف لم تستطع حماية نفسها إلاّ بالبقاء تحت رحمة سيدي الشيخ فتقول الساردة «لالة حليلة هي أيضا كانت محظوظة حين اختارها الشيخ زوجة له بعد وفاة زوجته الأولى، فارتقت منزلتها الاجتماعية لكن الضريبة كانت ألا تغادر البيت الكبير إلا إلى قبرها»<sup>1</sup>. فارتقاء مكانة المرأة الاجتماعية جعلها تحرم من أدنى حقوقها «فهي لن تتمكن من تحقيق موقع متميز لمجرد أنها سيدة أنيقة فتجد المرأة نفسها بلا قدوة سوى قدوة الرجل وبلا أعراف سوى ما تعلمته من الرجل وبذلك تكون المرأة حائرة بين حقوقها وأنوثتها وحقوق مكانتها»<sup>2</sup>.

إنّ شدة الدّل والقمع الذي تعيشه المرأة، ليس قدرًا، والطبيعة لم تظلمها إنّما ظلمتها العادات والتقاليد بتحويل المكتسب إلى فطرة، لهذا نجدها تعيشه بمبرر الحب وإن كانت في داخلها ترفضه «اجتمعت النساء لقتل الكسكس وإحضاره لدار سيدي الشيخ ليبارك لهن»<sup>3</sup> بل هي امرأة حصرت في الكد لأجل المجتمع فتكرر الساردة نقل الأحداث اليومية لهن بقولها «النساء عائدات من الجنان يحملن على رؤوسهن أطباق»<sup>4</sup> خلاصة القول أنّ المرأة الصحراوية وجدت لأجل المجتمع وإليه الرجوع، فكيانها موصول بهذا العقد المجتمعي وهي تبرع في قبضة يده وحريرتها مرهونة بين جدران هذا السجن.

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 83.

<sup>2</sup> - عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، ط1، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، 1996، ص 170.

<sup>3</sup> - جميلة طلباوي، مصدر سابق، ص 55.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 30.

## - مظاهر الامتثال للثقافة:

يعد الجسد عائناً ثقافياً في المجتمع مثلما نجده في شخصية "عويشة"، التي تشكو من سمرتها تارة، وتدافع عنها تارة أخرى، ويتجلى ذلك في أكثر من موضع خاصة كونها من الطبقة المثقفة إلا أنها لم تسلم من النظرات العنصرية فنقول عويشة: «لوني غير محبب لدى بعض الأشخاص، حتى بعض المارة في الشارع ينادونني بالنقريطة»<sup>1</sup> وهذا تقسيم آخر في المجتمع الصحراوي «فلا شك أن نسق اللون الثقافي في أمره من أشد الأمور حساسية في أي ثقافة وليس عندنا فحسب ولكنه يزداد خطورة في ثقافتنا حينما يكشف هذا الضيم وكيف هو مخالف لأهم مبادئنا الدينية، إلى التباهي بها وحق لنا ذلك لولا ما يجتاحها من أمراض ثقافية بل صار نسقا مزمناً».<sup>2</sup>

لقد صار اللون عائناً مزمناً، لدى المرأة الصحراوية، ولذلك سعت الساردة إلى تقويض التمثلات الثقافية الخاصة بالأسود، من خلال الرد بالمعارضة أو سرد حياة الأسود التي تملؤها أسرار خفية، تبين أن حياة الأسود لا تقل أهمية عن الأبيض، وإن كان الأسود مصبوغ بالدونية فهو مجرد تمثّل وهمي تناقلته الذاكرة الاجتماعية، والمخيل الثقافي دون وعي ولا مبرر.

## 1 - استغلال اللون مؤثر تراتبي:

عقدة اللون طاغية في المجتمع البدوي القائم على التراتبية الاجتماعية التي تهيمن فيها الأسياد، أهل السيف والشوكة، أي المحاربون، الذين يمتنون الغزو والقتال على بقية الطبقات الأخرى، ولا ينافسهم على هيمنتهم سوى أهل الكتاب والقلم أي الفقهاء والعلماء، وفي هذه الرواية مشهد يعكس ذلك، فنقول الشخصية المحورية عويشة «والدي الحاج جلول لم يكن ضحية لونه الأسمر كباقي بني جلدته فيجد نفسه منبوذاً أو خادماً في الترتيب

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 16.

<sup>2</sup> - نادر كاظم: تمثلات الآخر صورة الأسود في المتخيل العربي الوسيط، ط1، المؤسسة العربية للنشر، لبنان، 2004،

الأخير من السلم الاجتماعي، بل استطاع افتكاك مكان له مع الأشراف بفضل موهبته، إذا كان شاعرا وحكيما».<sup>1</sup> ما يعني أنه لم يكن من الطبقات الدنيا ذو البشرة السوداء الذين يشكلون غالبية العبيد، من الخدم والحشم، ويمارسون الأعمال اليدوية والرعي وما تحتقره أين النبلاء من عليه القوم بسبب دهائه فقط وفطنته وإلا ما كان هناك فارق بينه وبين العبيد بسمرته.

هكذا يكون اللون وجعا وجرحا اجتماعيا عميقا يؤرق أصحابه الذين يجدون مصيرهم محددًا سلفًا من غير حول منهم ولا قوة، وعليهم القبول به، والانقياد له طوعا أو كرها، وإلا عذبوا أو قتلوا أو شردوا، وفي هذا السياق تقول "عويشة" عن ما لاقته في الجامعة من احتقار «حتى محمد لم يسلم من عنصرية بعض الزميلات... انفجرت ضاحكة وهي تسألني عن سبب إعجابي بنيقرو (الأسمر) كان يستفزني ويستفزه لوني ويسخر مني وينادييني أحيانا بالنقریطة».<sup>2</sup>

يعد التقسيم القائم على بنية اللون من أشد الأمور حساسية في كل الثقافات وتزداد الطينة بلة، ريثما ندرك أنه مخالف لمبادئنا الدينية، فلا فرق بين أبيض وأسود إلا التقوى، ومن المقاطع السردية السابقة تتضح الرؤية، كيف أن التهميش، والتصنيف يلزم حياة الأسود، ما يدل أن اللون كونه نسق ثقافي يبرز العلاقة العنصرية الرابطة بين الأسود والأبيض بالإشارة والرد بالمعارضة إلى جمالية وسحر هذا اللون عن بقية الألوان الأخرى من خلال قول الساردة «اقترب ليسترق السمع للنسوة وهو المفتون بالكلمة الجميلة والنغمة الشجية، وهو يعرف أن كلمة لزرق مرادفة في النغمة للأسمر... ويدرك أن لكل لون حلاوته وجماله، فالبيضاء جمالها، وللسمراء أو الزرقة حلاوتها»<sup>3</sup> فالروائية تحاول المقابلة بين اللونين، وترد بالمعارضة على الجنس الأبيض لتؤكد أن الأسمر كغيره، و لا داع للتمييز

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 22.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 16. 17.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 23.

والتعالي، فتلمس جدلية الآخر الأبيض والأنا الأسود (المركز، والهامش) ففي الرواية يمثل الأنا الأسود "عويشة" و"محمد" ما يعني أنه نسق ثقافي مناهض للآخر الأبيض الذي نصب حاله سيد على الأسود.

لهذا يعد كلام البطل "عويشة" بخصوص لون البشرة، كشفا عن نقل وطأة هذا التمييز المتشطي، وكيف يتمكن الاستعباد والاسترقاق والعنصرية القاتلة التي ترى في اللون أو الدم أو العرق تفوقا اجتماعيا وثقافيا تحول لمن يتحكم في دواليب المجتمع أن يسيره على هواه، وبنزواته بعيدا عن كل شريعة ربانية أو عدالة بشرية فيصير اللون جرما يلاحق أهله وجدانيا، ويكون لعنة تطاردهم حينما ثقفوا ويصبح حاملوه لأنهم ولدوا به أتباعا ومجرد أدوات إنتاج لمن يملك رقابهم إلى يوم الدين، فرغم أن الدين جعل الإنسان نفسا محترمة إلا أن هذه الصورة تم تشويهها «الدين قد تم تغييبه تحت تأثير فرضيات وأنساق وأعراف سياسات متحيزة ضد الأسود والسواد وهي أنساق ضاربة في ظنها في ممارسات النص ونصوصهم ولغتهم». <sup>1</sup> ورافق عائق اللون جملة من أعمال خاصة بالمرأة السوداء البشرة كتحضير الأكلات إلخ...

وتظهر متابعة السرد في مدونتنا " وادي الحناء" صوت الأنثى في تلك البيئة الاجتماعية الذكورية، وهذا التغلغل في أعماق المجتمع جلي في الوقائع المحاضرة لها بمجموعة من المحرمات والمباحات، والحد يبلغ ذروته حين تتكلم التقاليد وتجبرها على الخضوع، فتظهر صورة المرأة الصحراوية بكل ما يتعلق بالعادات من خلال الأكلات التقليدية، والحناء وخضوعها يكشف بساطتها «طبقا من الرقاق أضيف إليه مرق البصل وآخر فيه تمر مسفوف، تجيد نساء تيمي إعداده» <sup>2</sup> حتى الأكل الصحراوي يفرض عليهن طريقة خاصة لإعداده، وتتابع الساردة وصف عاداتهم بالأهازيج في الأفراح «الله مع زينة

<sup>1</sup> - نادر كاظم: تمثلات الآخر، صورة الأسود في المتخيل العربي الوسيط، ص 251.

<sup>2</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 35.

البنات، ثم تواصل خالتي مباركة التضراي وتردد النسوة معاك وعندك»<sup>1</sup> كما تبين أيضا أن تزويج البنات يتم دون علمهن وهذه صدمة أخرى فنقول السادة «كان أصدقاؤه أول من يعلم بالخبر قبل أن تعلم هي مريم»<sup>2</sup> إنهن محرومات من حق الاختيار حتى في الذي هو بمثابة امتداد للسطوة، فهن يسقن كالإبل.

تُبين هذه الرواية في أكثر من مقطع أنّ العلاقة بين الرجل والمرأة بُنيت على أساس نفعي وتجاري، بمعنى الرجل يشتري المرأة كما يشتري قديما العبيد، أو كالسلعة، بل إن هذه العلاقة تفتقد إلى هدفها السامي، وهذه صرخة مؤلمة يعاني منها، المجتمع الأدراري التيمي، إذ تقول السادة «إنه سيوفر لها ما لم يمكن لشاب أن يوفرها لها من جاه ومال ورفعة شأن بين الناس»<sup>3</sup> نرى أنّ الذي يحدث بين الرجال والنساء في عالمنا وفي عصرنا أو غيره، والموسوم (بالحب) في الحقيقة ما هو إلا شعار مزيف فقد ماهيته وقداسته بعد أن أصبح الحب صفقة بل شركًا أصغر وهو للرياء فقط، لأن ما يخفى على الفرد أنه لا يمكن أن يحدث حبا بين سيد وعبيد، بل بين الضعيف والقوي، وبين صاحب السلطة والخاضع له، مادامت المتناقضات دائما تتجه نحو السلبية.

إنّ السؤال الذي يطرح نفسه في مدونتنا هو هل أضحي الحب مجرد علاقة نفعية فعلا؟؟ هل أصبح الشعار الموسوم (بالحب) والذي هو أساس نجاح العلاقة هو شعار استغلال فحسب؟ هل يمكن أن نشترى الحب بالمال كما جسده مقاطع الرواية؟؟

للإجابة عن هذه الأسئلة يدفعنا الحديث عن النكسة الإنسانية التي عرفناها (جنس يسود على جنس آخر) والذي لا تخلو منه الرواية حين عاينت طرف المعاملة التي قوبلت بها البطلة "عويشة" في فضاء "وهران" حتى في "أدرار" بين أفراد القصر وكل هذه الأمور أدت إلى فساد العلاقة الزوجية، وولدت عدم التكافؤ في العلاقة بين الذكر والأنثى،

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص32.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 4.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 50.

العنصر. في حين غياب هذا العنصر هو غياب الحب الحقيقي، لأن الحب يتولد من التكافؤ بين الجنسين.

لكن الملاحظ أن المجتمع عامة سلب من المرأة العقل والنفس وحصرها في الجسد فقط، فتقول زوجة أخ البطلة «العمل لا يليق بفتاة، الفتاة خلقت لتكون في بيتها وللاِنجاب»<sup>1</sup> فيتبين من خلال هذا الحوار أن ممارسة الاحتقار زرعت حتى في شعور ولا شعور الأنثى الأمية وتحاول هي الأخرى زرعه في الجيل القادم. ولو كان سوء تأويل فقط لما طلق "سي عثمان" زوجته لعقمها، وهذا ما يؤكد أن فعلا الحب مجرد سلعة متبادلة، لم يعد قائما على الحب والمودة والتفاهم إنما على المال والجاه، وتكرار الروائية على لسان الشخصية الخادمة في أكثر من مقطع عبارة «أنه يتوفر لها من مال وجاه ما لم يوفره أحد»<sup>2</sup> ما يدل على أن المجتمع يعترف بالمرأة من أجل النسل.

لقد تشيأت العلاقة الزوجية، لما طغت المادة على القيم الروحية واستحضر "جميلة طلباوي" في روايتها "وادي الحناء" للجواري وإن كان زمن الجواري والعبيد انطمس، ليس إلا بهدف السخرية وإبراز الصراع الحقيقي الطبقي الذي لا يزال يشكل فجوة في عصرنا تقول الشخصية البطلة على لسان الخادمة «أشارت للخادم الحمال وهو يمسك القفة الثقيلة»<sup>3</sup> «كان التلاميذ يساعدون الخدم المكلفين بتقليب الأرض والحراث»<sup>4</sup> وتواصل الساردة لتبين حضور الخدم بقوة في الرواية «اجتثت الخادمة على ركبتيها لصب الشاي»<sup>5</sup> فنلاحظ أن كل هذه الطاعة والفعل الفوري وليد الخوف من السلطة العليا وضربت لنا الروائية مثل الجارية في العصر الحالي لتؤكد «بما أن الرجل يحتقر جاريته، فإن هذا

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 168.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 38.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 56.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 59.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 50.

الاحتقار ينتقل بالمحاكاة السيكولوجيا إلى الزوجة الحرة، ثم يعمم كله احتقار المرأة»<sup>1</sup> إن احتقار الجارية هو الذي يؤدي إلى احتقار المرأة عامة وتقنية الاسترجاع للماضي الذي مارسه الروائية كان لغرض إثبات أن العبودية لا تزال ممتدة.

## 2- إلزام المرأة بطقوس توشيم الجسد:

تغرس الثقافة تصورات في الذهن وتتحول إلى معتقد هذه هي عملية الاستلاب الذهني المتواري خلف الموروث الشعبي فتقول الساردة على لسان البطلة في بعض المقاطع «ليلة الحناء هي ليلة معظمة ولها خصوصيتها في طقوس الزفاف في مدينتي تيمي العابقة بالفرح... ألبستني " ليزا" لباسنا التقليدي الجميل، وغطت رأسي بمنديل أحمر شفاف»<sup>2</sup> وبالحفر داخل الخطاب الثقافي تكشف عن الكثير من الوجوه المتوارية تحت الأغشية، فتقول "عويشة" «خالتي فاطنة عمة العريس أضافت قليلا من السكر وقطرات من ماء الزهر للحناء وهي تعجنها كي يكون زواجي مباركا... والنساء أمضين وهن يخضبن يدي ورجلي بالحناء كي يصير لونها جذابا مغريا كما يليق بعروس»<sup>3</sup> هكذا نلاحظ إذن مدى قداسة ومكانة هذا الطقس في الثقافة الأدرارية وما يسببه هذا الحناء في النفوس.

والحناء، يحيل أنه مستديم الخضرة، غزير التفريح، ذو اللون الأحمر البني، كما أنه باستعماله عبارة عن وشم ونقش، وهو تعبير كتابي يخط معالمه على الجسد.

فالوشم يعد ميثولوجية الماضي وكل امرأة تحمل وشمًا تجسد رمز الهوية، ما يعني خروج جذر الحناء من مفهومه اللغوي إلى فضاءات أخرى إيديولوجيا، ثقافية، تختلف باختلاف الفئة الاجتماعية.

ومفهوم الحناء أو هذا الوشم له خصوصية في الفضاء الصحراوي ورمزيته، حيث تقول الساردة عن الحوار الداخلي في شخصية الخادمة «تنفست الصعداء وهو يكشف لها عن

<sup>1</sup> - سلامة موسى: المرأة ليست لعبة الرجل، ط1، دار المعارف، لبنان، بيروت، 1982، ص 22.

<sup>2</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 13.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص نفسها.

منديل لالة سعيدية وما وضع فيه من أوراق الحناء طلبها أن تفسر لغز المنديل المعطر»<sup>1</sup>  
فما هذا السر المكتنز داخل وريقات هذا الحناء.

يعيدنا البحث عن الحناء وفي طقوس الحناء إلى أسطورة أيزيس وأزيرس، ما جعله يحمل بعدا أسطوريا يدل على الوفاء، كما قيل أن «أصلها يعود إلى الفراعنة قبل ما يقارب وألاف عام، حيث كانت تستخدم كطلاء لأيدي المومياء قبل دفنها، وكان في معتقدهم أن وضع الحناء على الأقدام والأيدي يحفظها من الشر»<sup>2</sup>. وهذا البعد الأسطوري نجده حاضراً في مدونتنا بطريقة غير مباشرة، فإذا كان الفراعنة يخضبون المومياء حفظاً لها من الشر نجد كذلك الأنثى تخضب بها لترضي حماتها فتقول الخالة مباركة «الله مع إلي تجي تعاوني في داري وإذا مرضت تقابلني»<sup>3</sup>. كذلك إذا كانت المومياء قديماً بتخضيبها بالحناء تعبر عن مرحلة الانتقال من الحياة إلى الموت والدفن، نجد عويشة كذلك وعلى الرغم أنها أنثى واعية لتكشف نسق الحناء، فهي تؤكد أنه يعبر عن مرحلة العبور «بوضع الحناء... امتزجت داخلي أحاسيس، حتى صار أنني سأزف إلى حبيبي ورفيق دربي محمد»<sup>4</sup> وكأن بقولها هذا تدخل مرحلة أخرى أشبه بالمومياء لا تعرف كنهها.

ارتبطت الحناء أيضاً منذ القدم بعالم السحر ومحاولة استرضاء قوى الطبيعة، بتقديم القران وتخضيبها بالحناء، وطقس الحناء بفعل التجربة الإنسانية المتواصلة جعلتنا نتوارثها خلف عن سلف، وتحاكيها بعمى دون وعي منا بجوهرها، وتاريخ ممارستها.

ودلالاتها من كل النواحي، لا من ناحية المعتقد المغروسة فينا فقط، وباعتبار الثقافة إضافة بشرية للطبيعة فهي تزخر بجمل من السلوكات والشعار التي لا تقام عبثاً، بقدر ما تحمل رموزاً وتوحي بأشياء تصاحب ممارستها، هذا ما استوجب علينا العودة إلى معنى

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 27.

<sup>2</sup> - وضع الحناء على الأيدي من موقع: <https://www.olmaghribtoday.net.com>، اطلع عليه، 2021/11/23 الساعة 9:30.

<sup>3</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 15.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، صفحة نفسها.

شعيرة ليلة الحناء في بعديها النفسي والاجتماعي، وكيف يسهم الطقس في تكريس المهمش الثقافي.

نجد في الرواية أكثر من مقطع يردد الحناء وطقوسها «الحناء زينة شعر النسوة»<sup>1</sup>، «أنهض باكراً لأحل رباط الحناء وأبدأ في تفتيت ما يبس منها ليظهر لونها جلياً زاهياً في كفي، وأنا أتهياً لأزف لعريسي رأيت كيف أن النسوة يخضبن يدي ورجلي ليصير لونها جذاباً مغرباً كما يليق بعروس»<sup>2</sup>. فالإضافة إلى كون الحناء زينة جمالية تتحلى بها المرأة الصحراوية لتتفرد عن الفتيات الأخريات فإنها تحمل في ثناياها أيضاً، معنى التحول والانتقال من وضع لآخر، لهذا جاءت عملية التخضيب بالحناء ليلة العرس كدليل للتحول ومن الوجهة الاجتماعية ترمز أيضاً إلى ما تتحمله النسوة من معاناة، كما يعتبر الحناء في يد المرأة على حدث الزواج، أما من الناحية النفسية، فالحناء وجدت لتجاوز الصدمة النفسية، التي قد تصطدم بها فتاة بريئة، بدخول رجل غريب على حياتها لم تعرفه من قبل بحكم التزمت المجتمعي، لهذا كانت ليلة الحناء حلاً لتقريب العريس لعروسته لأنه حسب التصور الاجتماعي فإن «الخطور والحناء للرجل والمرأة تجعل الرجل خصوصاً ناعماً وربما تؤنثه لأنها عادات نسائية وهذا التأنيث يُلطف على العروس خشونة الرجل المادية والنفسية»<sup>3</sup>. وهي نوع من الخدع النفسية والتمثيلية لكسر مخاوف المرأة.

يبدو أنّ هذا الوشم الذي يخط معالمه على الجسد لم يعد زينة فحسب، بقدر ماله مدلول على عدة دلالات على الأنوثة والسمو والنضج العاطفي، والرمزية التاريخية المؤسسة لثقافة الصحراء حيث ندرة الكتابة فنقول "عويشة" «أنا وريقة الحناء قدري أن أسحق ليزين بي الآخرون صارت مهمة أن أجعل حياة الآخرين أجمل رسالة بدأت أعيها»<sup>4</sup> « مثلها

<sup>1</sup> -جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 13.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، صفحة نفسها.

<sup>3</sup> - حافظ أحمد محمد أحمد: طقوس تأنيث العريس في بعض المجتمعات، source. mqqal. com.

<sup>4</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 13.

الحناء قد تكون غير محببة لبعض الأشخاص فينفرون منها<sup>1</sup> «خلقت لأكون لون للفرح تزداد تخصيب يدي ليزداد بريق لونها جمالا الأحمر»<sup>2</sup>، ركزت الساردة في بيان طبيعية هذا الوشم على الأيدي والأرجل وحصرته في اللون الأحمر فقط وإن كانت الحناء قد يكون وشمه أسوداً لتؤكد أن عملية الوشم مرتبط بالدرجة الأولى بالإيذاء، وأثر الجرح، وعلامة دالة على الحالة التي وقع فيها الاجترار أو الجرح، أي فتح في الجسد ما لم يكن، لذا كان الدم هاما في البكارة بعد اجترارها، واللون الأحمر في الوشم يشير إلى الدم وهو طقس عند الولادة، كما هو قربان مقدس حين يكون الدم مدخلا للمصالحات الاجتماعية بعد الخلافات أو المنازعات داخل المجال البدوي بين القبائل الصحراوية، وكل هذا يلخص قول "عويشة" إن كان لون الحناء غير محبب لدى البعض أي هناك من يرفض التألم والمعاناة للتحول، ناهيك عن كون الحناء إيذانا بالعبور إلى مرحلة جديدة هو ترسيم لحياة أخرى تعطي المرأة مكانتها الاجتماعية اللازمة في المجتمع.

الحناء طقس ثقافي يخصص اللون وتعبيراته، حتى يكون قربانا جديدا في استعمالاته الثقافية، التي ينبغي أن تنظم مسارات التأنيث فيه، أي الحناء جسر يعبر منه التأنيث نحو التفعيل، ويصير قربانا له حتى يجد محله الإعرابي المناسب الذي يخوله التفعيل له، فما لا تراه الفحولة، ولو كان من باب الزينة، لا يقبل ثقافيا ولا اجتماعيا، إذ تغدو الحناء واسطة علامتية تنقل رغائب التفعيل، وسلطانه المعرفي وأعرافه إلى المرأة حتى تضع له، وتترين به لتكون مباركة وفأل خير عليها وعليه وترسم لنا الساردة صورة عن هذه المباركة بذكر والصلاة على النبي «فرشته بمنديل أحمر من الصوف وكأسا به ماء من ساقية القفارة... أشارت لالة مينة للعروس فمدت يدها البيضاء ودست "لالة مينة" إصبعها في طبق الحناء

<sup>1</sup> -جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 14.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 15.

الذي تمسك به زازة وراحت تخضب يدها مستنفة بالماء لتحديد خطو الحناء في يد وهي لا تكف عن الصلاة على النبي محمد (ص)». <sup>1</sup>

الحناء إذن بنية دلالة تفسيرية مضمرة ترمز إلى لون يفصل بين عالمين وكلما اشتدت سمرة اللون الحنائي، تبينت خطوط التماهي والمفاضلة بين الذكورة المهيمنة والأنوثة المهيمن عليها، وليس الطقوسية سوى تبرير لاستغلال هذا الاشتغال المعرفي ويعلم به بين الناس. ترسم لنا الساردة أهم الأجواء الاحتفالية التي ترافق طقس الحناء وهي هذه الأغنية الشعبية (تضراي) كما جسده مقاطع الرواية «الله مع زينة البنات، الله مع اللي تجي تعاوني وإذا مرضت تقابلني»<sup>2</sup> فهذه الأغنية، التي تعدد فيها مناقب العروس، نتوهم أنها للتسلية والمرح لكنها صدى لقيمة اجتماعية، الفتاة بنت حسب ونسب وشرف مطيعة لأبيها بمن يختاره لها هو، فتقول لالة مريم «بنيتي وريقة الحناء لي يديها يتهنى»<sup>3</sup> «تنتب أينما زرعت وتمتد سيقانها لتصنع بهجتها».<sup>4</sup> كل هذه المقتطفات تدل أن المرأة هي بنت نسب والحناء علامة رمزية اجتماعية لتمايز العروس عن غيرها وإشهار لنهاية العزوبية، من خلال هذا التقويض الثقافي لأهم طقس في الثقافة الشعبية يكشف لنا كيف أن الثقافة والذاكرة الجماعية سيطرت على الذهن وأحكمت قبضتها عليها، لذا سعت "جميلة طلباوي" لإثبات وعي الأنثى بذاتها ولما حولها بتعرية الوهم والزيغ الثقافي.

### 3- المكان وصراع الهوامش:

رسمت الساردة من خلال القصر، مكاناً رمزياً، وإن كانت الصّحراء فضاءً هامشياً في الإبداع، ومركزيته تكمن في كونه بؤرة العمل الروائي منذ بدء السرد، فهو الحيز الذي تعرت

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 117.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 15.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 181.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فيه ذوات السود من الزيف واستعلت باطنها، وشكلت عالما مضادا للآخر (الأبيض المتسلط).

فقد يكون من الغريب الحديث عن القصر كفضاء مكاني وجغرافي في بيئة صحراوية تكاد تفتقد لظروف العيش، ما يجعل القارئ يتساءل ويفتح مجال للتأويل عن دلالاته في بيئة صحراوية بدوية.

وبالرجوع إلى البعد الدلالي " للقصر " فإنه يحمل معنى الأمن والاستقرار والعدل وكأن الساردة هنا تحاول الرد بالمعارضة والنقيض لهذا الأخير، وتقدم صورة أجمل لإنسان الصحراء، غير التي رسختها المنظومة الذهنية الثقافية، فهي بعد مقابلتها بين الإنسان الأسود والأبيض، تذكر هذا الأخير بالعنصر الغائب، والذي يفتقده وهو الأمن والاستقرار والطمأنينة على عكسه هو؛ والقصر فضاء لم تهتم به الرواية الجزائرية من قبل، وما يدل أنه جاء بالضرورة بصورة مغايرة عن المألوفة، فالتركيز على حياة القصر وبنيته بدقة كقول الساردة «كانت تلك المرة الأولى التي تدخل فيها بيت سيدي الشيخ، فتكشف عالما آخر صاخبا بالحياة تختلف عن الخارج أذهلها النظام الدقيق في توزيع الأجنحة، وكل جناح له باب يؤدي إلى خارج القصر جناح سيدي الشيخ، جناح زوجته، وابنته الكبرى جناح ابيه سي عثمان وجناح الضيوف»<sup>1</sup> وهذا التركيز الدقيق في وصف حياة القصر الجانب المجهول والمغيب في الحياة والرواية العربية الجزائرية، ما يسمح لنا بالقول أن الروائية كرست جهودها لسرد المجهول والمختلف الاجتماعي.

يحيل القصر بالدرجة الأولى على حياة المركز، وبالضرورة يقابله هامش بحواشيه، ونلمس كذلك التقسيم الطبقي المختلف عن التقسيمات المعهودة المألوفة كغني وفقير، إنما التقسيم في هذه الرواية وداخل القصر رباعي كوجود سلطان الغرام، شيخ جلول وزوجاته، رؤساء الخدم، الخدم فنقول الساردة على لسان الشخصية البطلة «كان دار سيدي الشيخ

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 53.

عبارة عن قصر بأجنحة مختلفة وغرف واسعة وأبواب كبيرة تعج بالخدم يسهرون على خدمة سيدي الشيخ وأهله»<sup>1</sup> من خلال هذا التقسيم الرباعي، يتضح أن الفرق الجوهرى بينهم هو اللون والهندام فقط، وهذا التقسيم الجديد في البيئة الصحراوية ما هو إلا وليد التقسيم الطبقي المأثور، لكن جاء هنا بحلة جديدة، وتنوع آخر، ليكشف كيف أن هذا التقسيم والتميز يلزم الفرد ويعذبه، وهذا مضمحل اجتماعي وليد التقسيم الطبقي.

وتعتبر الأعراس انتقالاً من الهيمنة الأبوية إلى الهيمنة الذكورية فيقول أبا أحمد «أعطيت بنتي مريم لصاحب تيمي، الحاج جلول... دارها ليهم زينهم»<sup>2</sup>. فإذا كانت الأعراس أو حفلة الزواج من أهم التقاليد التي يزخر بها مجتمعنا، والتي تتكرر في كتب الاثنولوجيا والأنثروبولوجيا، فإن هذه العادات عبارة عن «ظاهرة شعبية تاريخية ومعاصرة، هي من حقائق الوجود الاجتماعي، نعني بها الممارسات والسلوكات التي درج الناس على عملها أو القيام بها، وتكرر الفعل بها الممارسات والسلوكات التي درج الناس على القيام بها، أو تكرر الفعل بها حتى أصبحت مألوفاً، فالتقليد عرف يرتكز على الروتين والواقع أن كل تقليد يحيل إلى تميز بعض التصرفات التي يشرعها ماض غالباً ما يكون عابر...»<sup>3</sup> ما يعني أن الجيل الحالي يقبل مختلف الأشكال والممارسات الاجتماعية دون تمييز.

العرس كمناسبة وطقس متعدد الدلالات إذ: «إنّ لطقوس الزواج وظائف متعددة فهي لا تعتبر فقط علامات بارزة على تأسيس واستقرار وتكوين وحدة أسرية زواجية جديدة، واستقرار علاقات في الجانبين المعنيين، ولكنها أيضاً شعيرة مرور ذات دلالة هامة في نسق الفئات العمرية»<sup>4</sup> فالزواج والعرس مرحلة انتقالية مهمة في حياة الفرد.

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 21.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 37، 40.

<sup>3</sup> - بولت بيار، أيزار ميشال: معجم الاثنولوجيا والأنثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، ط1، بيروت، 2006، ص 50.

<sup>4</sup> - فاروق أحمد مصطفى وآخرون: دراسات في التراث الشعبي، ط2، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2008، ص

وإن العرس في بعده الاحتفالي إعلان الفرح، وإشاعة التشهير بين أفراد المجتمع، لكنه هو فوق هذا وذاك، بنية ثقافية تحدد العلاقة بين الرجل والمرأة وتشرعها بما يحقق الاستمرارية الفكرية و الدينية الضابطة للمجتمع وحيويته، ومن ثم هو توريث بنية ثقافية واجتماعية لأجيال قادمة، واستظهار الأنماط وتفكيرها في وجدانهم الداخلي، بدأت النساء الخدمات وزوجة الشيخ لالة حليلة «يرددن إن شاء الله نفرح ببيك، فتأكدت أنّ الفرح الحقيقي في عرفنا أن يصبح لي زوج وأولاد... أما الطموح الذي كنت ألهمت خلفه لم يكن الفرح الحقيقي الذي تتوق إليه الأنثى، ورقة الحناء تبقى وظيفتها تزين العائلة وضمان استمرارها بالإيجاب»<sup>1</sup> وكان صوت كل النساء تحول إلى صوت واحد ، ودخول الحوار الداخلي للشخصية البطلة كتعقيب لكلامهن دليل أن المرأة تدرك وضعيتها المهمشة لذلك قدمت لنا الساردة نموذجاً لذات تدرك وضعيتها في مقاطع أخرى عدة، وكلها تؤكد على وجود مفارقة بين الفرح الحقيقي للمجتمع الذكوري، وفرح الأنثى هذه الذات المهمشة، فدائماً سعادتها تكون على حساب الرجل والعاشق لتقول بأسى عميق «انتبه أنّ الإنسان في هذا الوجود ورقة حناء لا تكف عن التكاثر».<sup>2</sup>

العرس إذن ليس مجرد طقس غنائي، لكنه ضرورة مجتمعية تحتمها الحاجة إلى التنازل والتّوالد، بما يراه النسق المهيمن في كل مجتمع، أي أنّه ولوج إلى عالم مصادق عليه، تكون فيه الأنوثة الأمومة تابعة، غير قادرة على الرفض أو التمرد، هنا يصير طقس العرس، صك، اعتراف بالمرأة وإدماجها في بنية المجتمع الذكوري القوي.

إذن ليس طقس العرس سوى محاولة من "جميلة طلباوي" لتفكيك المركزية الذكورية في الفكر النسوي المعاصر، بل الوعي النسوي يؤكد أن الأمر مجرد إختراع ثقافي إجتماعي

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 165.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، 178.

والأما غفلت الخادمة عن هذه المهمة فنقول السّادة «سارعت للاطمئنان على الخادمة زارة التي كرست حياتها لخدمة الزاوية وأهل سيدي الشيخ فلم تتزوج ولم تنجب أطفالاً».<sup>1</sup> هكذا وبحصر سعادة المرأة في حيز الإنجاب والأولاد، ندرك كيف فرضت الثقافة منطقتها الذي يُعد محل الميز الثقافي بين النوع الاجتماعي (ذكر/ أنثى)، والصفتان الجوهريتان اللتين جعلهما العرف أساس سعادة الفرد، تقول "سيمون دي بوفوار" «لا تستكمل المرأة مصيرها الفزيولوجي إلا بالأمومة، هذا هو استعدادها الطبيعي، لأن كل عضويتها في المجتمع موجهة نحو إدامة النوع»<sup>2</sup> فالأنثى في مرآة الثقافة الذكورية، هي تلك التي تملك الصفات التي تحدد هويتها (المرأة الولود، المنجب) وكل من خرجت عن دائرة هوية الجسد ناقصة.

وكل هذا إذن من ناحية دلالة العرس وبعده الاجتماعي الثقافي المتواري، والذي تسعى الهيئات الاجتماعية وغيرها بتغطيتها بكل الستارات اللغوية والجمالية، وما إشارة "جميلة طلباوي" وحفرها في الثقافة الشعبية بتلك الطقوس وأبعادها سوى نوع من الدّعوة إلى التحرر أولاً من الذات المقبوعة داخل الجسد المزيف الذي فرضه عليها الآخر والمجتمع، العرف من زاوية أخرى.

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 140.

<sup>2</sup> - سيمون دي بوفوار: الجنس الآخر، تر: ندى حداد، دط، الأهلية للنشر والتوزيع، دب، 2008، ص 165.

## المبحث الثاني: استغلال الدين في الهيمنة:

## المرأة النمطية والدين:

يعتبر الدين المنبع الخالص والمنزه، الذي يعتمد عليه في استفساراتنا، ومنه يتبين الحق والباطل، لكن الواضح أنّ العرف يخالفه بطريقة ضمنية وسخره فقط لصالحه ولا يطبقه كما نص عليه الله، فقد شوّهه وأساء فهمه، خصوصاً في موضوع المرأة التي جعل لها المولى مكانة عظيمة ويجب احترامها، لكن خالف كل هذا وحاول قمعها وإذلالها فالسيطرة على المرأة ووصفها بالضعف الجنسي والعقلي، أدى إلى تعدد الزوجات، بل أصبح رفضها لزوجته أخرى لا قيمة ولا أساس له، وهناك مقطع بأكمله يصور لنا هذا في الرواية «هذي ما قبلناها منك يا سيدي».<sup>1</sup>

تمزج الساردة بين المجتمع وتفسيره الخاطئ للدين، فالإسلام أباح التعدد لكن في حدود المعقول وبشرط العدل، وما يدل على عكس الشريعة والدين هو الحوار الجاري بين الشخصيات الأنثوية فتقول الساردة «بزواج أحد أقارب سي عثمان من امرأة سمراء، القبيلة كلها ثارت، لكن هدأت فيما بعد حين أدرك الجميع غايته من الزواج بتلك الشابة في سن بناته، وهو أن تهتم به بعد وفاة زوجته»<sup>2</sup> إنّ مفهوم الزواج عندهم يعاكس الدين الحنيف وتعاليمه الشرعية فقد قال المولى عز وجل ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليه وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾.<sup>3</sup> من خلال هذه الآية الكريمة نستشف الفارق الجوهرى بين ماهية الزواج من المنظور الدينى وكيفية ممارسته في المجتمع، كما نجد أيضا كيف سخر المجتمع الدين لصالحه واحتتمى تحته من أجل تقيد

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 66.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 71.

<sup>3</sup> - سورة الروم، الآية 21.

المرأة وعزلها عن العالم الخارجي فتقول الساردة «فكلتاها حرمت من الخروج من البيت ككل زوجات الرجال الذين لهم مكانة دينية».<sup>1</sup>

إن ما يثير للدهشة هو كيفية السخرية من رجل الدين الذي خصه الله بسمات مميزة كالتقوى والخوف من الله، لكن كأن الروائية تود أن تثبت فعلا هذا الفهم الخاطئ لكل هذه الأمور فبعدما تقول في بداية السرد أن سي عثمان رجل وعظ وتقي نجدها تسند إليه دور الشاعر العاشق المتغزل فتقول: «راح ينشد قصيدة غزل بدلا من قصيدة في مدح الرسول الأعظم»<sup>2</sup> فنلاحظ هذا التناقض المتوالي في مقاطع الرواية إضافة إلى المسائل السابقة الذكر، نجد كيف أن التعدد في الزاج مخالف أيضا لتعاليم الشرع، صحيح أن الروائية بسطت لنا دوافع هذا التعدد وبررته بحجة الحفاظ على النسل لكن هذا ينقصه شرط القبول والرضا من قبل الطرف الآخر.

سعت الروائية بالحفر في أعماق النظام الديني من خلال قضية الزواج أو أحكام التعدد في الزواج إلى أربع، فرغم أن هذا التعدد لا يتعارض مع الإسلام بحكم أن الرسول (ص) الذي هو مثلنا الأعلى والقدوة الحسنة عدّد لأسباب دينية، لكن الروائية تظهر عكس هذا فقد جاء التعدد حبا للشهوة، ما يحيل إلى بداية تغلغل هذه الفكرة في المجتمعات، وهذا الرفض الصارخ للتعدد جلي من قول زوجات سيدي الشيخ «هذا ما قبلناه منك يا سيدي»<sup>3</sup> فالمضمر الديني هنا خلخل المعايير والأسس التي تم إرساؤها في نطاق الزواج، فهي قائمة على الجانب الغريزي النفعي أولا.

يقرّ الشرع هذا التعدد وتفسر السنة أحكامه « تنكح المرأة لأربع مالها جمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك فليكن أعظم القصد صلاح الدين واستقامة

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 84.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 24.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 45.

«الأخلاق»<sup>1</sup> لكن الساردة تقول في مقطع أن الرتبة الاجتماعية هي الأولى في الاختيار كقولها «فكلتاهما كانت شابة تزوجت برجل في سن والدها حبا في جاهه ومكانته الاجتماعية».<sup>2</sup> وإذا انتقلنا للتدقيق في شخص سلطان الغرام الحاج جلول نلاحظ أنه رجل دين وشخصية واعظة، حافظة لكتاب الله، وهذا ما بينه السرد في البداية فنقول لالة حليلة إن «الشيخ يا ولدي يخاف الله، والتقوى كلها من صفات الشيخ».<sup>3</sup>

لكن هذا الشيخ يرى أنّ الشعر والموسيقى ليست حراماً ولذلك تورد الساردة بأنه سلطان الغرام في قولها «فتعلو الزغاريد ويقوم سلطان الغرام باستراق السمع وإلقاء قصيدة غزل»<sup>4</sup> وهذا يوحي على التناقض في شخصية الشيخ.

ومن الأمور الأخرى التي كشفت عن الوعي النسوي قول زازة «هذي نقرة حرة، أذكر وأنا أعين الإسورة التي منحها لي أنني همست في أذنها أنا لن أتزوج»<sup>5</sup> فاعتبار أنها ممنوعة من الخروج حسب الأصول فهي زوجة الشيخ، واضح أن نسق الذكورة مهيم هنا وجاء على لسان التأنيث نفسه، وإلا سورة الفضية دليل على إغراء وهيمنة من يملك سلطة الإغراء والسيطرة على المجتمع بذكوره ونسوته «شرحت لها أن مواصلة الدراسة لا تعني التمرد على الأنوثة... تفصل بين الزواج والدراسة»<sup>6</sup> فالعمل حسب العرف الاجتماعي لا يليق بالفتاة، لأنها خلقت معززة، وإلا توصف بالعار والخزي ولذلك يرى الغدامي: «أن المرأة طوال تاريخها الحضاري، حصرت وظيفتها الوحيدة في الجسد، فهي من منظور الثقافة رمز للعار والخطيئة والغواية»<sup>7</sup> فقد أحكم الغلق على المرأة في حيز الجسد والخوف

<sup>1</sup> - نور علي درب: مواصفات المرأة التي يقدم المسلم على الزواج بها، 50. <https://binboz.on>

<sup>2</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 79.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 60.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 99.

<sup>5</sup> - مصدر نفسه، ص 168.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص 168.

<sup>7</sup> - عبد الله الغدامي: الكتابة ضد الكتابة، ص 16.

والرهبة وبتجلى هذا من أحاديث شخصيات الرواية، وهذا دليل على هيمنة الذكورة وما التعبير عنها إلا بداية استشعار فداحتها حتى يتم مقاومتها.

أطالت الروائية الحديث عن شخصياتها التي منحتها وظيفة الخدم وركزت على الصفات الخارجية لها من اللون واللباس، وكيفية التعامل معها وحدودها، وأعطتها أبعاد متميزة عن البقية لتشير إلى أنّ الخدم هنا بمثابة الجوّاري وقد وظفت كأفئدة للبوح ولتمرير أفكار إيديولوجية، وما غيرها وتجمعها قضية العبودية وغياب الحرية، بل هناك وهم وزيف الحرية فقط، فتقول الساردة، «فمذ عرفت تيمي موجة تحرير العبيد»<sup>1</sup>. وتوظيفها داخل هذه السردية نسق ثقافي اجتماعي مآثر يحيل على العبودية الجديدة القنعة.

تخضع المرأة الصحراوية النمطية كما رأينا في هذه المباحث للعرف والتقاليد والثقافة، وتحافظ عليها بكل حب، كإحيائها العاشوراء ولباسها التقليدي، ويمكن إرجاع وتبرر هذا الحفاظ المتزمت بالدرجة الأولى لجهلها التام لما لها من حقوق وما عليها من واجبات منحتها إياها الطبيعة وكرمها بها الله.

تخترق النمطية الوجدان المجتمعي حين تتحط المرأة في صورة العورة أو المستور الذي لا ينبغي أن يُكشف، ولأنّ عادات المجتمع وتقاليده تلبّست لبوس الدّين بتوظيف من الذهنية الذكورية، ظهرت للمرأة صورٌ دونية حصرتها في أوضاع تابعة للتعليم وخاضعة لسلطة المجتمع، فهي المطيعة إذا نظرت إليها أسرتها لا يحق لها التمرد أو العصيان وإلا عدّ ذلك نشازاً وُجب عليها الرضوخ لما تقرره القاعدة المجتمعية، وهي الولود الشجرة المباركة التي تنجب الذكور بكثرة كاترة لتخلف نسب الرجل في أهله وقبيلته، ويشيع بين الناس امتداده. والويل لها إن توالى إنجاب الإناث فقط لأن رحمها ممسوس بما يمنع وجود الذكورة فيها، وقد يعرضها هذا الأمر الفيزيولوجي للطلاق الذي لا دخل لها فيه كليا. وهذه النمطية جعلت

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 114.

المرأة أداة توظف دينيا لأن الحدود التي رسمتها الذهنية الذكورية لها وضعتها في درجة دنيا أو مادون المواطنة الحققة.

إن سلوك البداوة الذي مازال ثابوا في المجتمع يظل حاضرا في الممارسة الحياتية في الدين والواقع.

فلا يحق للمرأة الإمامة أو الإفتاء أو القيادة العليا للجيش، ولا ينبغي لها أن تتصدر الجاه أو السلطان السياسي.

إن هذه الصورة النمطية التي ذكرتها الروائية والمتعلقة بالثقافة والمجتمع والديني جعلتنا ننتبه إلى عمق المعاناة التي تكابدها المرأة في صمت، ومدى الظلم والقمع الذي طالها في عقر الدار ولذلك سنركز في المبحث الثاني على آليات التهميش وتوضيحها.

لقد توصلت الدراسة في هذا الفصل أن الرواية قدمت ظاهرة رئيسة من الواقع كشفت عن النماذج الأنثوية الراضية من التخلص من هذا الاستعلاء الذكوري، وأكدت أن هذه ما هي ترجمة لرغبة الواقع الذي يتجه لتغيير الوعي العام تجاه المرأة.

حاولت الروائية تفكيك آليات الهيمنة بلمس النقاط الحمراء كالدين الذي يُستخدم اليوم كقناع، والتأكيد كيف ساهم الفهم الخاطئ للشرع والدين في فرض السيطرة على الأنثى وكذا دور الممارسات الاجتماعية في تسريب وتمديد الذكورية.

وهكذا يمكن اعتبار الكتابة النسوية بمثابة محاولة جريئة لقصف الآخر الذكر وهي منعطف حاسم للتحول من المفعولية إلى الفاعلية.

# الفصل الثالث:

## نموذج المرأة المتمردة وإعادة تشكيل الوعي

المبحث الأول: المرأة المتمردة والثقافة

المبحث الثاني: تشكيل المركز الأنثوي

## تمهيد:

يتميز العالم الذي نعيش فيه بالسرعة الشديدة في التقدم العلمي والبطء الشديد في التقدم الإنساني والعقلي، وهذا ما يوسع الفجوة بين النضج العقلي والمادي من ناحية والإنساني من ناحية أخرى.

لقد شاع امتلاك الإنسان للإرث من أموال وغيرها، لكن من المؤسف التحدث عن ملكية الإنسان وعمر بن الخطاب قال «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار»<sup>1</sup> و«جميلة طلباوي» في رواية «وادي الحناء» تكشف عن هذا الخلل الذي ما يزال يعشعش في المجتمع الصحراوي.

بل إنّ المرأة تحاول تحقيق إنسانيتها، وكشف أنساقا إيديولوجيا جديدة للتوعية وتجاوز المصاعب، وتتمثل هذه الأنساق الثقافية في القوانين والأنماط الثقافية التي تنشر الوعي عن طريق الأدب، الجرائد، بل غدا المستوى التعليمي ضروري.

ويظهر إصرار المرأة الجزائرية على العلم من خلال مؤشرات عدة، الإرادة التي تظهر في مواصلة تعلمهن بعد الزواج والولادة «كذا يغدو المستوى التعليمي يشكل ضرورة ويوفر وضعا حيويا يوازي الجمال»<sup>2</sup> إنّ تبلور الوعي لدى المرأة الصحراوية خاصة، وفطنتها أنّ العلم أهم وأسبق ساهم في تحررها.

إنّ التطرق لقضية المرأة ومن قبل امرأة لخطوة كبيرة، تجعل من المرأة الصحراوية خاصة، موضوع مناقشة، لأنّ الهامشية والدونية شيء يخفق الأنفاس، لهذا وجب خلق مجالا أبيض واسع للمرأة الصحراوية لتجاوز الهامشية، وعبر هذه النصوص يتراءى لنا التعقيد والازدواجية في الحديث عن هامشيتها. رواية «وادي الحناء» تعكس الأمر، تبرز لنا كيف

<sup>1</sup> - حسن اسماعيل: مروة الأحاديث القدسية، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، دس، ص 60.

<sup>2</sup> - فاطمة المرنيسي: ما وراء الحجاب هندسة اجتماعية، تر: فاطمة الزهراء أرزويل، ط1، الدار البيضاء، المغرب،

2005، ص 175.

قاومت تلك الإنسانية السمراء ذلك الخمول والجهل، ومدى وعيها بذاتها كفردها لها حقوق وواجبات.

### المبحث الأول: المرأة المتمردة والثقافة.

جسدت رواية " وادي الحناء" من خلال البطلة "عويشة" وأمها "لالة مريم" صورة كاملة للمرأة الصحراوية المثقفة التي تسعى وتبحث عن حريتها في واقع مملوء بالتناقضات، بل نجد أنّ "عويشة" كسرت وتجاوزت الحاجز، ولم ترضخ وترفض الاندماج في المجتمع الذي يعتبرها جسداً خاوياً فحسب «لم يكن من السهل كسر تلك العادات والتقاليد الصادرة من القصر». <sup>1</sup> تجاوز العرف ليس بالأمر الهين.

كما نلمس في روايتنا، تعميق الوعي بحقوقها ككائن، بل تحولت من كائن عاطفي خاضع، إلى امرأة متمردة على واقع الاستلاب، ساعية لبناء الوعي النسوي الصحراوي الجديد، انطلاقاً من الانتقال من فضاء صحراوي إلى فضاء المدينة المتفتح الذي ساعدها على بناء الشخصية من جديد، لهذا سعت إلى إعلاء الصوت الأنثوي الراض، إذ تقول: «أتذكر قول الخادمة فانة بأن سي عثمان يبحث عن الوعاء الذي ينبج له الولد للحفاظ على السلالة، لكنني كنت أرى نفسي أكبر من أكون مجرد وعاء، كنت رسمت صورة لفارس أحلامي لأحقق حلم والدتي». <sup>2</sup>

هذا المقطع يعطي من صوت "عويشة" التي تتأرجح بين الطابو والحلم في المجتمع الأدراي المتخلف، ولأن شخصية المرأة مهمة في بناء جمالية الرواية الصحراوية قدمت جميلة طلباوي رؤية جديدة بالغة الأهمية صاغت تمركزاً جديداً حول مقاومة المرأة للرجل لهذا تقول "فاطمة المرنسي" « لم أكن أبدا امرأة كنت دائما إنسانا، إن الآخرين هم الذين يريدون أن أكون امرأة، لكن أنا لن أتجرأ، أنظر إلى العالم كإنسان بأنوثتي، برغبتي في

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 19.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 107.

السعادة والإبداع». <sup>1</sup> وكل هذا يقارب ما نادى به البطلة عندما قررت تأسيس حياتها كما أرادت هي حيث تقول «وبدأ يخلمن بفارس أحلام بطريقة مختلفة عن قوانين العائلة التي تضع مصير البيت في يد العائلة الكبيرة». <sup>2</sup>

إنّ نضال النساء الجزائريات عامة والصحراويات خاصة، لنيل حريتهن يصطدم بعوائق حول مكانة المرأة ودورها في مجتمعنا، والرغبة الواعية لمجابهة هذا الحاجز العرفي لهذا نجد بعض النساء في الرواية وبشكل غير مباشر يتساءلن كيف يسعهن أن يحملن مشعل الحرية وكيف استطاعت "عويشة" بذكائها تجاوز الصورة التي تعطي عنها صورة سلبية مستلبة الوجود حيث لم تتعرف على ذاتها.

إنّ المرأة الصحراوية على دراية تامة أنّ هناك قانوناً يزدهر بشكل كبير إلى حد لم يعد ينفع معها شيء، والحقوق الممنوحة لها ليست سوى واجبات، بل بلغ الوعي بها أن تقول إنّ مجتمعنا الذي وصف أنه عربي إسلامي للوهلة الأولى متناقض مع روح الإسلام وإلاّ ما وجدت كل هذه الفوارق قال (ص): «لا فرق بين أعجمي وعربي إلا بالتقوى» <sup>3</sup> فهي تنادي بالمساواة وتؤكد أنّ الفرق الحقيقي يكمن في التقوى والإيمان فقط.

بقدر ما يوجد الاستقرار (النمطية الروتين) والحب والمودة، يولد كذلك العنف والضجر، الذي يتجلى في فعل التمرد والعصيان إذ كانت لالة حليلة الشرارة الأولى للإعلان عن بدايات التمرد في الفضاء الصحراوي، بأن كسرت العرف وتزوجت سلطان الغرام الحاج جلول تقول الساردة: «هم الميالون لتزويج بناتهم بأقاربهن في بيوت القصر العتيق» <sup>4</sup> بل على الرّغم من كونها ريفية وخاضعة في بداية السرد لكن نجدها مستشرفة لواقع أفضل لابنتها "عويشة" تقول الساردة بلسان عويشة: «إنّها تدري بأنني لن أنال حظ من التعليم إذ

<sup>1</sup> - أحمد شراك: الخطاب النسائي في المغرب، أنموذج فاطمة المرنسي، ط1، دار البيضاء، المغرب، 1990، ص 43، 44.

<sup>2</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 102.

<sup>3</sup> - حسين إسماعيل: مروة الأحاديث القدسية، ص 42.

<sup>4</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 37.

ما غادرت يتمي وأقيمت عند أخوالي الذين لا يقبلون خروج الفتاة للتعليم، فبيت سيدي الشيخ كان البيئة الملائمة في اعتقاد والدتي "لالة مريم" بي أتلقى العلم، وتصبح لي مكانة اجتماعية تليق بتضحياتها وتتحدى عائق لوني»<sup>1</sup> فهي تحاول درء ثقافة اللون، ولا تجعلها كابحاً وكل هذه التصرفات النابعة منها "لالة مريم" تتم عن وعي كبير تسعى به لنقل ابنتها من مستوى التخلف إلى مستوى الانفتاح ورؤية عالم آخر منفتح.

ثم ما لبث أن بدأ الوعي التحرري ينتقل من الفرد إلى الجماعة وذلك من خلال حفيدات سيدي الشيخ اللواتي حجبن عن الخارج فقد «قدم البديل لهن بعد أن حجبن عن الشارع بحسب تقاليد العائلة، البديل كان عبارة عن مجالات وجرائد عربية»<sup>2</sup> فكيف يحجبن عن شيء ثم يزاولنه في البيت وخصوصاً أن البديل هو جرائد عربية.

لما تتكلم العادات والتقاليد والعرف، يسكت الفرد لكن الخادمة فانة تسمع صوتها في الوقت الذي يسكت فيه الجميع، ولم يمنعها من تشجيع فانة لعويشة ومحمد فنقول الساردة «سنلتقي في الجنان قرب النخلة»<sup>3</sup> بل إن الوعي بدأ يستفحل حتى عند العجائز اللاتي خيم عليهن الخضوع إذ تقول الجدة: «خل البنية تعيش حياتها»<sup>4</sup> وهذا تحدّ كبير لإعلاء الصوت في زمن كان الصوت عورة، إن شخصية عويشة هي تلك البطلة المتمردة بوضوح، من أجل تحقيق حلمها وحلم والدتها إذ تقول: «أنا التي تمردت على عادات المدينة وفضلت إكمال دراستي على مشاعر أخيها الذي أخبرهم بولمه بي»<sup>5</sup> إن قوة الشخصية، والقوة النفسية أحياناً هي سلاح المرأة لمواجهة مثل هذه العراقيل، خصوصاً عندما يتناقض القلب والعقل، إن السرد يبرز بوضوح أن عويشة والطبيبة هما من حملتا اسم المرأة المثقفة وتحدتا الرجال في عمل كان حكراً لهم.

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 10.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 100.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص نفسها.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 148.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 165.

تعيش المرأة الصحراوية في ثقافة ذكورية، وتبقي المرأة غير معترف بها إنّما تجبر فقط على ممارسة أدوار الجنس، فالمرأة الصحراوية ليس لها توجه محدد، لكن "عويشة" قلبت الموازين ورفعت راية التمرد وسعت لإبراز ذاتها وخلق مجتمع تكون فيها قادرة على العيش حرة، ويمكن أن تؤثر على العالم سياسيا واقتصاديا كالطبيبة في هذا الصدد تقول "عويشة" مخاطبة الخادمت «لكل منا حق الخيار فارس الأحلام»<sup>1</sup> تقول "فاطمة المرنيسي" « لكل من الزوج والزوجة الحق في الاختيار الحر للمهنة والحرية في العمل والأنشطة الاجتماعية»<sup>2</sup>.

تسعى الروائية على لسان الشخصيات الأنثوية إلى إيصال نقطة مهمة، وهي أن الرجل لن يرحم المرأة إذ لم ترحم نفسها، وتدمر تلك البقعة التي ابتدعها الرجل، أو العرف الجمعي ليهمشها، بل إنّ "عويشة" تحدث رغم لونها المجتمع والثقافة، وتعلمت ودخلت الجامعة لهذا تقول «إن تجول الفتيات في الشارع بهدوء وهن يحملن الحقائق المدرسية كاف ليزعزع التوازن النفسي لمجتمع بأكمله»<sup>3</sup>. وعويشة فعلا أحدثت هذا، ورفضت كل شيء من أجل أن تتعلم وتحقق حلمها، وقد تحدثت كل مظاهر السخرية التي يضعها المجتمع تقول "عويشة" «تسخر مني وتقول بأن تعلمي لم يفدني في إنقاذ فلولاها لما عرفت كيف أنقذ حبي»<sup>4</sup>. ومواجهتها كذلك جلية بقبولها لكل شيء خارج ثقافتها الصحراوية، وإن كان هناك أمر تجذبها وتفتخر بها في فضاء أدرار، لكن الفضاء الآخر (وهران) فتح لها أفاق عديدة في الأكل والهدنام وأصبح يعقد مقارنة بين تلك الثقافات وإلى أي مدى استقتت من التراث ثم طورتها.

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 50.

<sup>2</sup> - فاطمة المرنيسي: ما وراء الحجاب كهندسة اجتماعية، ص 178.

<sup>3</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 178.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 110.

تقول عويشة وهي في وهران «اكتشفت البيئزا كنت آكلها وأقول أن الرقاق تاينا أحسن منه»<sup>1</sup> فتحضرها لم ينحصر فقط داخل المجتمع الوهراني، بل سعت إلى تعميم تلك الفتوحات في أدرار، ولم تخف البوح بحبها لمحمد وهي تتأبط بذراعه للتوجه إلى العمل فتقول «أذكر أن البنات كن يتطلعن إلي وأنا أتأبط بذراع محمد ونحن نمضي للعمل في الشارع ممتلئين ببعضنا»<sup>2</sup> هذا تحد كبير وكسر للعرف والمجتمع، وهذا الانفتاح جعلهم يتجاهلون طريقة مداواة الأعشاب وتفسير العلة وربطها بالسحر إلى الطب المعاصر لهذا نجد لحضور الطبيبة إلى قصر سيدي الشيخ لمسة خاصة لتغير الأذهان المتصلبة، كما كان هذا دافع لرفض عويشة للزواج والإصرار على العلم، فتقول "عويشة": «فصرخت وعارضته يومها، وصرخت عليه في وجهه بأنه علينا التحلي بالشجاعة والإصرار على إكمال دراستنا، بعد ذلك يحق لنا العودة إلى تيمي ونتكلم عن الزواج». <sup>3</sup> كلنا نعرف كيف جذرها المجتمع البطريكي أنّ الصّمت زينة المرأة، هذا المقطع يدل على أنّ "عويشة" تقول لم يعد الزمن السكوت.

الملاحظ أن المرأة حسب هذه الأصوات الأنثوية الصارخة بدأت خارج غياهب العبودية لتكون إنسانة حرة لها حقوق وعليها واجبات.

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 155.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، صفحة نفسها.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 118.

## المبحث الثاني: تشكيل المركز الأنثوي.

لقد شكلت حركات التحرر النسوية الإطار العام لهذا التمركز الذي كان بمثابة نقله نوعية في مجال اقتناص الحقوق السياسية والاجتماعية والإقتصادية للمرأة. ولعل تنامي الوعي النسوي بضرورة إعادة كتابة تاريخ تخطه أنامل المرأة المضطهدة، أشعل فتيل الحرية بالنسبة إلى النساء في العالم، ولم تكن ثورة النساء ورغبتهن الجامعة في التحرر وليدة التنظيرات التي جاءت بها الحركة النسوية فقط، بل إن عيش الحرية لازم النساء منذ أمد بعيد، ولعل تأنيث الخطاب قد شمل عدة مجالات حيوية، أهمها اللغة، التي لا يمكن عدّها مجرد وسيلة للتواصل فقط، بقدر ما هي إنتاج للمعاني والدلالات، واستتطاق الأشياء، لهذا يقول "الغذامي": «ظلت المرأة تكتب وإن كتبت وتحكي وتبدع ضد نفسها، لأنها تتكلم بلغة الرجل وثقافته وتفكر بتفكير الرجل وهو تفكير احتل اللغة، واستعمل الثقافة حتى صارت اللغة رجلاً وصارت للثقافة ذكراً». <sup>1</sup> ما يعني أن المرأة لم تملك لغة لنفسها، ولتحقيق ذاتها لا بد من مفارقة ثقافية، تخرج منها من اللامكان، اللاوجود واللامقال لتواجه العالم، وتكون بمثابة مسعى أنثوي لتحقيق وجود ذاتي يعتمد على الذات في ذاتها ولذاتها (الذات المركزية) المفردة التي لا تتوسل إلى زوج ولا أب، ولا حصانة العائلة، وبنات الأشراف، كما جسدهت رواية "وادي الحناء" في مقاطع عدة تفضح بطريقة غير مباشرة هذا الربط الضروري بالآخر (الذكر).

لقد أحكم الرجل السيطرة على اللغة وتذكيرها، ما جعل المرأة تسترسل لتمارس اللغة، هذا ما يعني أن المرأة قبلها كانت خارج اللغة واغترابها في تاريخ اللغة الذكوري، فاستطاعت بذلك الذكورة تدجين الأنثى عن طريق القمع الاجتماعي، ودخلت اليوم المعترك لتثبت ذاتها داخل الوجود اللغوي، عبر ثقافة وفعل الكتابة، لهذا كان هدف نظرية التمركز حول الأنثى هو رفع وعي النساء بأنفسهن كنساء وتحسين أدائهن في المعركة الأزلية، لهذا جاءت لغة

<sup>1</sup> - عبد الله الغذامي: المرأة واللغة، ص 80.

النساء مختلفة عن لغة الرجال فهي لغة ملتوية، لعوب، لهذا تم الهجوم على ما يسمى ذكورة اللغة والدعوى إلى تأنيثها.

وهذا التحول لتأنيث اللغة، يعني تحول المرأة من موضوع لغوي إلى ذات لغوية، فحسب عبد الحميد بن يحيى «خير الكلام ما كان لفظه فعلا ومعناه بكرا»<sup>1</sup> فيؤكد انحياز اللغة للرجل، وجعل المرأة تابعة لا متبوعة، لأن المعاني مطروحة في الطريق على حد قول الجاحظ، ولا أساس لها إلا في قالب لغوي (اللفظ) أي الرجل، والمعنى (امرأة)، فبهذا استحوذ الرجل على كل القدرات اللغوية والتعبيرية في الخطاب الأدبي، ما المرأة فيه إلا مجرد مجاز يكتبه، ومن هذا الإقصاء اللامرغوب فيه تقتحم الكون اللغوي والإبداعي بممارستها لفعل الكتابة، وصياغة الألفاظ لتبين وجودها في تلك الشرنقة والوضع الفحولي، وبهذه الكتابة تضمّر داخلها تاريخها المقصي سابقا، وأضحى هذا القلم الفحولي قلم أنثوي جعلته يستتطق كيانه وبوح روحها، لتعدد أصواتها الصارخة حول مأساتها الحضارية.

كما لا ينبغي أن نغفل عن الاقتحام النسوي لهذا العالم، عبارة عن تجاوز للمقدس السابق في الذاكرة الثقافية الذكورية وكسر المنظومة الذهنية المتصلبة، ومحاولة المراوغة، وكل هذا نابع من وعي المرأة، بذاتها كذات مستقلة وانتقل إلى اللغة فهو عبارة عن تحول من صفحة بيضاء يكتب عليها إلى قلم نافث، وهذا الانسياب للأفكار الذهنية (الوعي) يتنامى داخل الرواية ليتحدد من خلال رمزية (اللون، الحناء، العرس، القصر...) أي من ثلاثي مترابط البناء والتداعي، لذلك استطاعت الرواية أن تفتح أفق الكشف عن مسكوتات هذا الثلاثي في البنية الذهنية الصحراوية بمنطقة أدرار كونها الحاضنة الاجتماعية، والفكرية لطقوس العيش والحياة في مجتمع مفتوح على المحافظة، والذهنية الذكورية.

لقد أصبح الجسد خصوصا (الأنثوي) جزءا من فلسفة ما بعد الحداثة بكل أبعادها، فهو جزء ضروري، ولقد أضحى متصدرا المشهد الروائي المعاصر باحترافية، والرواية هنا ركزت

<sup>1</sup> - إحسان عباس: عبد الحميد بن يحيى، الكتاب وما تبقى من رسائله 22، دط، دار الشروق، عمان الأردن، 1998، ص

على تفاصيل وجمال هذا الجسد المحترم عليه سابقا بالعار والسلبية وأعطته بعدا آخر، ويحل مصدر اعتزاز وقوة وادعة لإثبات الذات وذلك بأن جعلته جسدا متمردا على المعايير والقوالب السالفة.

لقد كان التمرد بوجه عام، رفضاً للواقع واحتجاجاً عليه: «كما أنه رفض للكون كما هو... احتجاج في وجه الطبيعة الصامتة... وعمل على خلخلة القيم السائدة... ويحث للإنسان عن مخرج من أزمة الوجود والسيرورة»<sup>1</sup>. والتمرد في الرواية النسوية غالبا ما يتجلى في شخصيات المرأة الغير القابلة للثقافة السائدة في مجتمعها.

وهذا التمرد يختلف باختلاف الأنساق القامعة فقد يكون تمردا على الدين برموزه وفهمه الخاطيء من قبل العامة، ولعل أولى بوادر التمرد تقف على خاصية الشكوى والرفض السري ثم العلني وإظهار ردود أفعال قوية تحمل في طياتها رفضا قاطعا لكل ظلم وقهر، وفي مدونتنا "وادي الحناء" نركز على ثلاث مظاهر للتمرد ونستهل بالرفض.

### 1 - الرفض:

تولّد الرفض للهيمنة الأبوية في مدونتنا عن قناعة شخصية واثقة من قبل البطلة عويشة، والتي حملت راية التمرد عليه منذ بداية السرد، وتراوح هذا الأخير من رفض للمجتمع المتمرمت والثقافة القامعة، فوشحتها بصور مختلفة، وباعتبار أن هذه الشخصية البطلة عويشة هي الشخصية المحورية والتي تدور حولها أقطاب السرد، فعويشة تنطلق بالرفض وعدم القبول من منظور داخلي أولا، وانطلاقا من وضعية أمها لالة مريم، والتي كبلها الخضوع أحيانا وإن كانت في جوهرها رافضة لتلك الرواسب لكن غافلت المجتمع أنها قابلة لتحقيق ذاتها من خلال ابنها، لهذا انطلق الرفض من التصور إلى الفعل، بمعنى بوادر

<sup>1</sup> - محمد أحمد العرب: ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر، دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم الأدب والنقد، 1976، ص 09.

التمرد كانت بالتصور والقول، وعندما اكتمل وعيها بدورها وأهميتها، ومكانتها داخل المجتمع البطريكي الذي اعتاد رسم صورة نمطية لها، ألحقت الرفض بالقول بالرفض بالفعل خير دليل على كلامنا هذا ما مثلته لنا الروائية من خلال بطلتها «نشد أدني حتى أصرخ من الألم، لكني لم استسلم وبدأت رغم شيء أخطئ لخلق صداقة بيني وبينهم»<sup>1</sup> تواصل الحديث «كنت جريئة وهذا أكثر ما يميزني للوصول»<sup>2</sup> إذن نلاحظ كيف بدأ الرفض داخلي وقولي قبل إعلانه جهرا، أما الرفض العلني للعنف والمجتمع أيضا جلي في تصرف "لالة مريم" فهو رفض فعلي قالت الساردة «دخول لالة مريم في صراع مع ربائبها كسرت القاعدة، وتخطت عتبة بيتها التي يلزمها العرف بها».<sup>3</sup>

من خلال هاتين البطلتين "مريم" و"عويشة" وتأملنا كيف تجلى نسق التمرد والرفض فقط في بداية السرد، يجعلنا نؤكد أن تمرد هذه الشخصيات النسائية بالرفض في البداية لا يتجاوز كونه مظهر من مظاهر الاحتجاج على سلطة الرجل المطلقة، وفكرة الدوغمائي المتمتت، الذي يمارس قيودًا صارمة عليها، وبداية التمرد عن طريق الرفض كما بينه السرد من خلال البطلة كخطاب صارخ لا من أجل زعزعة الثوابت والقيم الأخلاقية للمجتمع فهي لم تكن ضد الأخلاق بالعكس، بقدر ما كان حث ودعوة إلى إسماع خطابها الذي يثبت هويتها وذاتها في مجتمعها وخير دليل على هذا قول الساردة بخصوص بطلتها التي تحاول الدفاع عن أنوثتها وأدائها الاجتماعي فتقول «خروجي للعمل لا يعني أنني تحولت إلى رجل... العاملات يدخلن المطبخ ويقمن بأشغال البيت كباقي النساء... عملي لا يختلف عن نزول المرأة إلى البساتين».<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 56.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 68.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 84.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 169.

لقد اقترنت ظاهرة الرفض بالسرد النسوي على مستوى الشخصيات الأنثوية عينا، لهذا يعتبر الرفض مسألة دفاعية أصيلة منبعثة من الذات تجاه الواقع والآخر، كما أنه وسيلة مقاومة أوضاع ومواجهة الاستلاب والاضطهاد، والنظر داخل أعماق مدونتنا جعلنا نجزم أن الرفض الذي نادى به شخصيات الرواية، والمبثوث داخل السرد كان نتيجة الضغوطات الاجتماعية والثقافية «كإجبار الفتاة على زواج لا ترغب به أو منعها مزاوله عمل أو وظيفة، أو تقييد مجال حركتها، أو نمط العيش عليها»<sup>1</sup> فالبطلة كانت ضد فكرة عدم إكمال جامعتنا ورفضت الزواج حسب العرف، كما كانت ضد الامتثال لأوامر المجتمع وأفصحت عن تدمرها من مجتمع ذكوري يجعل المرأة أمة تخدم الرجل والقصر، وتركع تحت رجليه لنيل البركة ويشكره وإلا ما عبرت الساردة على لسانها «ترفع الخادمت أيدهن بالدعاء له بطول العمر ويشكره على كرمه بتوزيع بعض القطع النقدية... لكني كنت جريئة».<sup>2</sup>

يطغى الرفض على شخصية عويشة من أجل تحقيق أحلامها، فهي نشأت في أسرة محافظة، ورغم بعض الحب الذي يحيط بها من أبيها وعائلة سيدي الشيخ على غرار الأخريات لكن كانت دائما تتبرم متطلعة إلى حياة أفضل ولذلك الرفض اتخذ قالب الشكوى والتذمر في المرحلة الأولى حيث تقول الساردة على لسان البطلة «أذكر أنني كنت لا البث وأعيش نشوة اللعب... حينما تأمر رئيسة الخادمت زارة الأطفال بالتوقف عن الجري».<sup>3</sup>

إن وجود شخصية نسائية متمردة سرديا يرتبط دائما بوجود شخصيات محافظة ولم يكن هذا البناء اعتباطياً فنقول البطلة «جرأتي في الجري نحو الشيخ لآخذ من يده المباركة، كانت أول إشارة ليتفقوا على أنني متميزة عن باقي الأطفال الثابتة».<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ساهر الضامن: نساء بلا أمهات (الذات الأنثوية في الرواية النسائية السعودية)، ص 243.

<sup>2</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 69.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 95.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 96.

تعتبر مغادرة "عويشة" لوطنها تيمي كرهاً ورفضاً لثقافة مجتمعها، وكان رفضها تدريجي، انتقلت من رفض لكل ما يجعلها حبيسة أربع جدران وهذا أشرنا له سابقاً إلى التمرد الفكري الجسدي أين تمردت وخاضت تجربة الدراسة خارجاً رغم تكريه الكل لها هذه الفكرة.

إصرارها على الدراسة والعلم خطوة أساسية لنتثبت لهم رفضها للرواسب تلك فنقول: «راح أخي يذكرنا بالعار الذي سيلحقنا جراء مخالفة العرف، ستنبذنا القبيلة، ويكثر القيل والقال أكد أن سفري إلى وهران للدراسة في الجامعة سابقة خطيرة».<sup>1</sup> وتواصل السرد وتؤكد «دخولي للجامعة رغم أنه يخالف الأعراف في تيمي»<sup>2</sup>، وهكذا ورغم قساوة وشدة الرعب في العشرية السوداء التي كان الرجال أنفسهم يتوقعون لكنها غادرت تيمي فنقول: «وضعت قدمي في الحافلة وكأني أضعتها على عتبة الموت كنت أنا الفتاة الوحيدة والباقي رجال».<sup>3</sup> كل هذه المقاطع جاءت لتوضح رفض تلك الأصوات النسوية لصورتهم السلبية التي نمطها لها الآخر.

النقطة الأهم لعدم السكوت وإعلاء الصوت، وأخذ كلمة التعبير عن الرأي، ورفض مرور رأي الآخر وتحديد الذكر مصيرها هو رفض البطلة الرجل والزواج في مرحلة الشباب وسخرت تلك المدة لبناء مستقبلها أولاً، فبعدما كان هذا الآخر حلم كل فتاة في مرحلتها لكن هي لم تقبل ذلك فتقول "عويشة" «أذكر أنني أعين إلا سورة أنني همست في أذنها أنا لن أتزوج»<sup>4</sup> وتواصل وهي ضد كل ذلك الكلام «سمعت من حفيدات الشيخ عن فارس الأحلام

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 148.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 164.

<sup>3</sup> - مصدر نفسه، ص 157.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 101.

وعن أهمية أن تسند المرأة ظهرها إلى الرجل.... لكن أتمنى أن لا يكون زواجي تقليدا...  
وأتزوج زواج يليق بالحرّة».<sup>1</sup>

إن خوف المرأة الحرّة من (الذكر، الزوج، العشيق) ورفضه دليل أنه كان مصدر خطورة عليها، وخوف البطلة الحرّة "عويشة" جاء كرفض مباشر وغير مباشر في ذات الحين لواقع المرأة في مستواها الاجتماعي، فهذا الرفض القاطع لها «لن أتزوج» هو بمثابة تنبيه وتحذير، ورفض للمحمولات المسندة إلى الرجل والقامعة لها.

نخلص للقول أنّ التّمرد على شكل رفض تداخل بين العرف والتّقاليد والمجتمع، بمقارنة البطلة للمجتمع الصحراوي ومدى الحرّية التي منحها إياها، رغم أن تلك الظروف في ذلك الحين صعبة، فتح لها المجال أكثر لتثبت أنها على حق، لهذا تعود بعد إكمال الجامعة رافضة متمردة على نواميس المجتمع كالخروج مع حبيبها، وتزيد إصرار على فكرة الزواج عن حب لما كانت تعلم أن المجتمع لا يسمح بقاء الزوج إلا ليلة الدخلة.

وهنا تظهر إيديولوجية "عويشة" المتشعبة بثقافة وهران فنقول هي ذاتها: «سأتزوج لكن من شخص يكون سندا لحلمي».<sup>2</sup> إنها تلح على رغباتها وتقبل الزواج بعد جملة من شروط اقترحتها هي وتخدمها، أي تنادي بحرّية الاختيار التي هي حقها، المشروع، وتؤكد هذا حين تتأبط يد حبيبها كانت تستفز المجتمع: «أذكر أن البنات يتطلعن إلى وأنا أتأبط ذراع محمد... ونحن ممثلين بالحب»<sup>3</sup> هذا إذن أهم تجليات الرفض.

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 103.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 118.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 155.

## 2- قتل الذكر:

نلمس في العديد من الأعمال الروائية النسوية كيف تسعى المرأة لرسم صورة شاحبة مشوهة للرجل، بغية تعرية نسقه الفحولي الرامز لذكورة قامعة، لعطب الفحولة نفسها، وذلك عندما ترمو لخلق صورة مشوهة للفعل الذكوري، أو ضمور العضو التناسلي وجعله عاجزا لمحاولة هويتها وتكسير الأوهام «إعلان موت الوصاية الفحولية والمنظومة الأبديّة الصارمة حين تخضع شخصية الرجل لآليات التعرية التي تفصح صلته الهشة للأنثى».<sup>1</sup>

ورواية "وادي الحناء" منذ بداية السرد وهي تركز على فكرة العطب والكسر لكن بطريقة مخالفة للمعهود تماما فبدل ضمور القضيب توجهت إلى الإقصاء النهائي للرجل بحد ذاته، الذي يعتبر ذروة التمرد، إذا عملت الروائية على تفويض مركزية الفحل من خلال الحد من سلطته أو إقصائها بالكامل، ومن أبرز الاستراتيجيات التي استعانت بها هي القتل، أو (موت الذكر) فنلاحظ كيف ربطت حياة الأم "لالة مريم" بحياة البطلة "عويشة" فإذا كانت بداية السرد أشارت فيه إلى قتل وموت زوج "لالة مريم" فتقول الساردة «لولا وفاة الحاج جلول ودخول لالة مريم... لما كسرت القاعدة ولما تخطت الباب».<sup>2</sup> «أجدني شبيهة بوالدتي هي الأخرى قامت بتربية بعد وفاة والدي»<sup>3</sup>، فإن نهاية السرد كان بوفاة زوج البطلة عويشة، أي نلمس هنا تشابك وتداخل مصير الابنة بأمها وهذا مقصود أكيد، وجاء لتأكيد أن هذا الأخير وجوده كعدمه.

لقد جاء هذا الاستمرار للقتل لكل (ذكر، رجل، زوج) لالة مريم وعويشة للحد من الهيمنة وإسقاط الفحولة، والتمرد بالسلطة، وإثبات الوجود الأنثوي.

<sup>1</sup> - رشيدة بن مسعود: المرأة والكتابة (سؤال الخصوصية)، ط1، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، المغرب، 1994، ص 50.

<sup>2</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 84.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 180.

سعت الروائية إلى قتل (الفحل) بمجرد أن تبلور بصيص الأمل للمرأة، وإحساسها بالسعادة، وهذا ما استدلت عليه الساردة تقول «ذكرت والدتي أن بعد مرور شهر من زواجي لم تفارق والدي... أصبح هو كل شيء بالنسبة لها»<sup>1</sup> فنلاحظ أن هذه المفارقة لها مدلول، فتعبر قضية قتل الفحولة في الرواية عفوية لا علاقة لها بأي إيديولوجية من قبل الروائية، لكن تكرار هذا القتل بموت زوج "عويشة" تقول "عويشة" «الموت الذي هرب منه محمد في حاجر مزيف في الطريق في وهران لقبه في تيمي وهو يسرع الخطى من المستشفى»<sup>2</sup> يتساءل القارئ لماذا الموت حصرته الساردة في تيمي فقط وليس في وهران والجواب لان تيمي هي ذلك البلد المترمت، كأنه بهذا القتل حد لسطوة الرجل وكسر لجبروته ولهيمنته، فإذا كانت لالة مريم فقدت زوجها بعد إنجاب ابنتها عويشة، كذلك الحادثة تمتد وتكرر مع ابنتها هي الآخر تتجب أنثى لامتداد اسمها وكيونتها الأنثوية، وضمان الاستمرارية للجنس الأنثوي.

رغم التبرير السابق لظاهرة القتل التي استعملتها الروائية كتقنية فنية، وخذعة لتحقيق المساواة، لكن يظل الاستفهام متواصل في ذهن القارئ، ما سر القتل للذكر في كلا الحالتين فنفترض أن موت "الحاج جلول" (زوج) "لالة مريم" الخاضعة جزئياً لعرفهم، لهذا جاءت ابنتها عويشة، لتكمل هذا المسار التحرري وإعادة الاعتبار للذات الأنثوية وفعلاً حققت التحرر المطلق وأنهت قضية الرجل، واقتلعت جذوره في المجتمع/ إنهاء الهيمنة والاعتراف بالأنثى.

يعد إقصاء الرجل/ قتله في خطاب المرأة، دلالة رفض ثقافية لواقعها المقموع معه، فجاءت ظاهرة الإقصاء وتقويض (الذكر) حيلة فنية في الرواية النسوية، اقتدت إليها الروائية لتعيد الرجل إلى مكانته وتجعله غائب مهمش، وتهيي الأرضية المركزية للأنثى، لأن وجوده

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 167.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 179.

وحضوره ضعف لها، حتى وإن كان السرد بين الفينة والأخرى يظهر علاقة حسنة بين "عويشة" و"محمد" تقول "عويشة": «كان يومها محمد يرافقتي وهو يحمل حقيبتني ويحاول مساعدتي». <sup>1</sup> «كان يخبرني بأنه قلق علي»<sup>2</sup> لكن غيابه يظل قوة لها، ومجال لإثبات ذاتها وممارسة حقها دون قيد.

نلاحظ من خلال ما ذكرناه سابقا مدى تداخل اسم مريم بظاهرة القتل، فهو اسم يفتح أيضا أفقا أرحب للتأويل. واختارته الروائية لدلالات عدة، لكن هذا الاسم يحمل دلالة ثقافية رافضة، فموت وإقصاء زوج مريم يعيدنا إلى النص المقدس، وما منحه المولى جل لهذه الأنثى الكريمة.

اسم مريم له حمولاته الدينية الدالة على الذات القائمة بوجودها الخاص، فمريم عليها السلام أم عيسى عليه السلام والقرآن يقول في الآية ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا 17 قالت إني أعوذ بالرحمان منك إن كنت تقيا 18 قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا 19 قالت أني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا 20 قال كذلك قال ربك 21﴾.<sup>3</sup>

فمريم في هذه الآية الكريمة تبرز لنا حقيقة في صالح المرأة التي ربط مصيرها بالرجل القضيبى، فمريم هنا هي تلك الذات التي أنجبت مولودها دون أي اتصال جنسي جسدي بالرجل، وإذا أسقطنا دلالة مريم على الرواية نستشف تداخل، فهذه الشخصية مريم المركزية في الرواية وما يحمله اسمها من دلالة رافضة للرجل، وحد من هيمنته وتشويهه، وهذا يعني تمركز الأنثى، ورفض للواقع المأزوم مع الرجل ويتجسد من خلال إقصاء صورة الرجل الإيجابي فنيا في السرد من خلال تغييه كلية (بالموت).

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 167.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 155.

<sup>3</sup> - سورة مريم: الآية 21/17.

يعد هذا الإقصاء مبشرا لتحول الكتابة الإبداعية «تحولت كتابة المرأة من صفتها الأدبية إلى صفتها الاجتماعية ومن صفتها السردية إلى صفتها الإيديولوجية، بغية تأسيس خطاب مضاد لخطاب الرجل، فمثلها يمارس الرجل حرب الإقصاء في خطابه الواقعي تمارس المرأة إقصاءها له في الخطاب المتخيل بعد أن عجزت عن تحقيق الإقصاء في خطابها الواقعي مع الرجل»<sup>1</sup>.

إنّ التشويه والإقصاء جاء لمنح الأنثى أدوارا أكثر، وإعلاء سلطة الذات الأنثوية، ولتحجيم الذكورية السلبية.

كما أن الإقصاء (القتل) ظاهرة مهمة للتخلص من الوقع الذكوري ومن جهة أخرى اتجاه للاعتراف بدور المرأة وفعاليتها.

لقد تباينت تمظهرات القتل في رواية (وادي الحناء) ما بين قتل رمزي ثم فيه استئصال رمز الذكورة (القضيب) وبهذا أصبح الذكر شأنه شأن الأنثى كائن ناقص بلا عضو ذكري يبرز وجوده كذكر، وقتل آخر لا يقل عنفا، بل هو أعنف من القتل الرمزي، هو قتل حقيقي، قتل بكل ما تحمله الكلمة من دلالات، على هذا الفعل، إنه بتعبير آخر إنهاء حياة الذكر ومن ثم التخلص «ليس من رمز الذكورية فحسب» بل التخلص من الذكر والذكورية بكل تموجاتها ومساررتها، إن القتل الرمزي، يعني قتل الثقافة الأبوية التي تنشيء سلما من التعارضات: الأنا/ الآخر، الكمال/ النقص، الطهر/ الرذيلة.... إنها تعارضات حدها الأول الذكر بكل مدلولاته السلبية، أما القتل الحقيقي، فهو قتل الذكر نفسه، قتل من أنشأ تلك الثقافة الأبوية نفسها، إنه قتل، راديكالي تكون نتيجته البقاء للأنثى، ولا شيء غير الأنثى، لصبح التاريخ والعالم والثقافة مهينة بأكملها لهذه الأنثى.

<sup>1</sup> - حسين النعيمي: خطاب السرد (الرواية النسائية السعودية)، ط1، النادي الأدبي الثقافي، دب، 2004، ص 675.

## 3- الأنوثة وإعادة تشكيل المركز.

في سياق الحديث عن الأنوثة ومركزية الذات الأنثوية نستعين بمصطلح عبد الوهاب المسيري الذي عبر عن التحول الاجتماعي بعد ظهور الحركات النسوية بمصطلح " التمرکز حول الأنثى" الذي يسهب في الحديث والتأكيد عن كيفية التحول والانتقال من المركزية الذكورية لكون الرجل بؤرة الكون إلى المرأة المتمركزة حول ذاتها، باعتبارها مركزا.

اهتزت في عصرنا عدة قيم، وتبدلت فيه قناعات جمّة بسبب الانفتاح على ثقافات جديدة، بشكل تواصل، لم يعهد له العالم مثيلا، حيث «أدت التطورات التقنية والاتصالية إلى انتهاك الخصوصية الفردية»<sup>1</sup> ولا سيما في مجتمعنا الحالي، وجاء السرد في رواية " وادي الحناء" من خلال ظاهرة التمرد على شاکلة الأنوثة، كتفصيل وتوضيح لهذه التحولات الثقافية التي لعب فيها الفضاء دورا بارزا، في محاولة لتسليط الضوء عليها، ولعل أهم تحول حاولت الروائية رصده، هو التحول الثقافي، وكيف ساهم التمرکز حول الأنثى في اقتلاع جذور هذه الثقافة القائمة على تفضيل انجاب أولاد (ذكور) وتحاول بتر هذه العقلية التي هي عبارة عن امتداد لسطوة الرجل عليها، وللحد من هذه المسألة جعلت من الرحم الأنثوي الولود للأنثى التي هي بمثابة تحقيق لأنوثتها ولذاتها.

وتجعل هذه الأخيرة المركز والأساس في البناء الاجتماعي والقاعدة في استقرار النوع، لينتقل الاتجاه إلى معاملة الفتاة بأفضل الوسائل التي كرستها الذاكرة الجماعية للولد سابقا فإذا كانت العرب قديما تبسط الولايم إذا نبغ فيها شاعر ولد ذكر فإن الروائية تسقط هذه المعاملة على ميلاد أنثى والمقطع السردى المشير إلى هذا جلي من خلال قول الساردة لقد «أغدق سكان تيمي الهدايا على لالة فاطمة الزهراء تعبيرا عن فرحتهم بميلاد الصغيرة لالة مريم»<sup>2</sup> وتواصل الساردة وتقول إن: «يوم الاحتفال بالعقيقة أو السبوع» كما يحلو لنا

<sup>1</sup> - عبد اللطيف، وآخرون، زمن المستقبل والعالم العربي (دراسة في موجة المعلوماتية)، طبعة المؤلفين، الرياض، 1998، ص 116.

<sup>2</sup> - جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص 176.

تسميته وضعت الموائد في القصر وفي الرواية... حتى في الطرقات... لهذا الحدث الجميل ميلاد حفيد سيدى الشيخ».<sup>1</sup> ومتابعة السرد بدقة يكشف لنا هذا التحول وهذا الوعي الذي عكس الرياح والموازن، فتقول "لالة عويشة" كان «أخي الأكبر هو الوحيد الذي تقبل ميلادي رغم عدم تقبله لوالدتي، أما بقية أخوتي رفضوا أمي كما رفضوني أنا»<sup>2</sup> وقد تعمدت هنا في الاستشهاد بتأخير هذا المقطع لأشير إلى الانتقال من الجزء إلى الكل في قبول الأنثى، ففي البداية كان الاعتراف بها جزئي لكن تم تعميمه حتى أضحي الاعتراف بها كلية (القبيلة) فالمقطع السابق وضّح كيف أكره المجتمع البنّات وحاول تعميم هذه الكراهية، لكن لم يفلح، لهذا جاءت "عويشة" تتكلم من مكان الوعي بثقافة المجتمع التي تفضل الأبناء الذكور لأنهم حسب الوهم الثقافي مصدر القوة، وهذا النسق الثقافي الذي يفضل الذكور على البنات سابقا، على أساس النوع ولا علاقة الأمر بمعايير أخرى، جعل الروائية من خلال البطلة ومريم تدافع عن الأنوثة وتتمركز حولها، وما تلك اللوائح في الحقيقة إلا إعلان عن فوزها وتمركزها ولترسخ ذلك في ثقافة المرأة ذاتها.

وتتابع الأحداث أيضا بين كيف حاولت الروائية كسر هذا النسق ونيل الاعتراف بالأنثى، وإقناع الآخر بضرورتها في البناء الاجتماعي والثقافي ومحاولة نسف الرواسب في ثقافة الرجل، إلى أن أعلنت المرأة ذاتها هذا التمركز الأنثوي والدفاع عن الأنوثة وشرعيتها، وهذا ما أسفرت عنه الروائية على لسان إحدى شخصياتها لقد «ابتسمت كلثومة وهي تحتضن مولودتها الجميلة»<sup>3</sup> وهذا افتخار واعتزاز بالجنس الأنثوي الخصب.

إن الانتقال من الثبات والركود إلى التحول والحركة في رواية " وادي الحناء " مشوق، فنلاحظ بدايات الانكسار والتحطيم كيف يتماشى ويتكاثف إلى غاية قبول هذا الآخر المهيمن

<sup>1</sup>-جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص176.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص 105.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص 102.

ما كان خارج الدائرة بفرح وهذا أقصى حد للتمرد، وهذا الانقلاب العكسي من الذكورة إلى الأنوثة، ومن الإبادة الجنسية والثقافية ضد الكائنات المؤنثة إلى التبجيل والاحترام.

فهو تحول جذري والمقاطع الأخيرة من الرواية وعلى لسان الشخصية البطلة التي تعد قائدة هذه المعركة الشرسة، والتي (تصدرت) بؤرة القضية تؤكد هذا الانتصار للأنوثة ولجنس المرأة عامة، فتقول: «لم يكن المولود ذكرا، بل كان أنثى أخيرا صيرت أما، سعادتني لا توصف... حول ردة فعل محمد حيث يعرف أن المولود أنثى، لكن محمد فرح وكل أفراد أسرته فرحوا بصغيرتي تلك القطعة من روعي»<sup>1</sup>.

وهذا إثبات لوجودها ككائن خلق لها مقومات إنسانية لا تتباين مع الولد، ونلمس أيضا كيف انتقل القبول إلى قناعة واقتناع جماعي الذي يعد انتصارا للأنثى وتمركزا لها بفعل التمرد.

من خلال ما سبق نجد أنّ حين تلد المرأة الأنثى فهذا يعتبر انتصارا، بتحقيق رغبة عكسية، ليستمر نسبها ونسلها حتى تبقى أنثى صامدة، لا تقنى مهما علا جبروت المجتمع الذكوري، فالأنثى مضاعفة أخرى للتأنيث، أي كتابة تاريخ بأنامل أنثوية لا يحوها العقل الذكوري، هي وشم أي رمزية قيمة قائمة على الحضور لا الغياب على البقاء لا المحو. حيث تولد الأنثى هذا تأكيد على التمرد والثورة على عادات بالية كرستها ذهنية فقهيّة ذكورية استبعدت المرأة.

<sup>1</sup> - جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص 179.

خاتمة

بعد الاستقراء والتّحليل والتّفسير لإشكالية البحث، وما تفرغ منها من أسئلة، توصلنا إلى مجموعة من النتائج التّالية:

الأدب النسوي كما يبدو هو ذلك الأدب الصّادر عن ذات مؤنثة لتطرح قضايا ورؤى، وليس الذي يكون موضوعه المرأة، لأنّه يعتبر عملية تحرر من حيث أنّه وعي وكشف تجارب طالها الصّمت لحقبة من الزّمن والكتابة هي من يبلورها وتنتقل لنا تلك الأحداث من الغياب إلى الحضور.

فالأدب النسوي هو تلك الكتابة السّردية التي تتوفر على أحد المكونات الدلالية الآتية، كأن تحثي بالجسد الأنثوي بوصفه هوية مميزة للمرأة، وتطرح رؤية أنثوية لم تكن معروفة وهذه النظرة هي التي تبرز موقعها داخل المجتمع، كما تقدم نقدًا جذريا للنظام الأبوي من خلال كتابتها.

يصور المخيال الثقافي المرأة الصّحراوية على أنّها خاضعة وراضخة للرجل، إلا أنّ هذه الصّورة يتم تقويضها في الرواية حين أصبحت امرأة لها مقومات، وعي وحضور في الثقافة وهذا ما سمح لنا بالحديث عن مركزية المرأة الصحراوية.

شاعت فكرة أنّ الجسد قدر المرأة، وأن خصائصها البيولوجية هي مصيرها المحتوم، في حين هذا الجسد وهذه الخصائص هي التي خلفت لها حيزًا أنثويًا يميزها عن الرّجل ودون أن يعزلها عنه.

يتفاهم قلق المرأة بخصوص هويتها وبشأن ذاتها مع فقدانها لوظيفتها مكانتها كأمر، زوجة، دون أن تغفل تأثيره السّلبى على حالتها النّفسية، وكذلك محاولة تحقيق ذاتها، وهذا ما دفعها للتمرد، لهذا ثارت المرأة الصّحراوية على الرّجل في مدونتنا، وهذا من خلال البطلة عويشة التي لا تنطق إلا بعقل لا تتكلم إلا بعد فهم.

الحرص على إعادة النظر في المسائل التراثية والفلكورية التي ساهمت في إفراز نظرة دونية للمرأة.

تمثل المرأة الصحراوية حالة ديناميكية لأنها قضت على التمييز الحاصل، بفضل التعليم، بعدما أعادت النظر في الحواجز التي وضعتها البنية الاجتماعية، كما نلمس تقويض النظرة الصحراوية في المتخيل العربي كالمساواة، وذلك بالانتقال من البداوة إلى الحضارة من مستوى التخلق إلى مستوى الانفتاح.

نستنتج من خلال تحليلنا لمقتطفات من رواية "وادي الحناء" أنه لا بد من مقترحات جديدة وأولية، تهدف إلى تقليل الأعباء وتجريد المرأة من بعض الأعمال المنزلية، وذلك بهدف وضع وتخصيص حيز ورقعة تمارس فيه إنسانيتها كإنسان، دون تشويه أو تخريب للأسرة أو تمرد على دورها الاجتماعي.

الرواية هي صياغة إبداعية ثقافية تتكون من خطابات تعيها الذاكرة الجماعية ذلك تعد ذلك النسيج اللغوي الذي يعكس لنا التناقضات الاجتماعية والفردية.

تبلور في الرواية وعي المرأة، حيث انكشف فيها سلطة ذكورية وبرز هذا الوعي في محاولة إثبات ذاتها ومركزيتها.

ما يسعنا في الأخير قوله هو أن المرأة الصحراوية لم تعد تلك المرأة البدوية التي تقطن الخيمة، بل قوضت صورتها وحلت مكانها صورة أخرى، وهي المرأة الصحراوية المثقفة والواقعية التي اخترقت النظم الاجتماعية وقامت بتعرية المسكوت عنه، وتشويه صورة الرجل. وإقصائه والتحول الجذري للأنثى من المفعولية إلى الفاعلية.

# قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

المصادر والمراجع:

1. أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب العربي، بيروت، ط1، 1952.
2. إحسان عباس: عبد الحميد بن يحيى، الكتاب وما تبقى من رسائله22، دار الشروق، عمان، الأردن، 1998.
3. أحمد شراك: الخطاب النسائي في المغرب، أنموذج فاطمة المرنسي، دار البيضاء، المغرب، ط1، 1990.
4. إيمان القاضي: السمات النفسية والفنية للرواية النسوية، دار معارف، بيروت، لبنان، ط2، 1985.
5. بثينة شعبان: الرواية النسائية العربية، مجلة مواقف، ص 233، نقلا: عن حسين المناصرة: المرأة وعلاقتها بالآخر.
6. بوجمعة بشوشة: الرواية النسائية التونسية، المغاربية للطباعة والإشهار، ط1، تونس، 2009.
7. بولت بيار، أيزار ميشال: معجم الاثنولوجيا والانتروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، بيروت، ط1، 2006.
8. جبور عبد النور: المعجم العربي، دار العلم الملايين، بيروت، ط1، 1984.
9. جميلة طلباوي: وادي الحناء، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018.
10. حسن اسماعيل: مروة الأحاديث القدسية، دار صادر، بيروت، لبنان، دس.
11. حسين النعيمي: خطاب السرد (الرواية النسائية السعودية)، النادي الأدبي الثقافي، ط1، 2004.
12. حسين نجمي: شعرية الفضاء السردي، المتخيل والهوية في الرواية العربية، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
13. حميد الحميداني: الرواية المغربية رؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، ط1، 1885.
14. رشيدة بن مسعود: المرأة والكتابة (سؤال الخصوصية)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994.

15. ساهر الضامن: نساء بلا أمهات (الذات الأنثوية في الرواية النسائية السعودية).
16. سلامة موسى: المرأة ليست لعبة الرجل، دار المعارف، لبنان، بيروت، ط1، 1982
17. سيمون دي بوفوار: الجنس الآخر، تر: ندى حداد، الأهلية للنشر والتوزيع، دط، 2008.
18. شيرين أو نجا: نسائي أم نسوي: مكتبة الأسرة، الهيئة للكتاب، ط1، 2002.
19. ع. ن. يوسيلوف، تطور نظرية الفن في روسيا والمدرسة الجمالية الجديدة، تر: يوسف الخلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1968.
20. عبد الرحمن ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر " مقدمة العلامة ابن خلدون" دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 2007.
21. عبد اللطيف، وآخرون، زمن المستقبل والعالم العربي (دراسة في موجة المعلوماتية)، طبعة المؤلفين، الرياض، 1998.
22. عبد الله الغدامي: الكتابة ضد الكتابة، دار الآداب، بيروت، ط1، 1991.
23. المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط1، 1996.
24. شعرية الفضاء السردي المتخيل والهوية في الرواية العربية، ط1، الدار البيضاء، .
25. عبد الله الغدامي: نقد ثقافي، قراءة في الأنساق المضمرة، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط3.
26. عبد الملك أشبهون: العنوان في الرواية العربية، دار محاكاة للدراسات، ط1، دب، 2011.
27. فاروق أحمد مصطفى وآخرون: دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 2008.
28. فاطمة المرنيسي: ما وراء الحجاب هندسة اجتماعية، تر: فاطمة الزهراء أرزويل، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
29. كرل برو كلمان: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط5، دب.
30. محمد بكاي: جدل النسوية فصول نقدية في إزاحة الدوغماتيات الأبوية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2019.

31. ميشل مان: موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري، دار المعارف الجماعية، مصر، ط1، 1999.
32. نادر كاظم: تمثلات الآخر صورة الأسود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للنشر، لبنان، ذ1، 2004.
33. نزيه أبو نضال: تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية ببيليوغرافيا الرواية النسوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1.
34. هاني نعمة: شعر المهمش في عصر ما قبل الإسلام، منشورات الاختلاف، دار الفكر، البصرة، ط1.
35. هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافية، دار رؤية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004.
- المجلات والمقالات:**

1. أحسن ثليلاني: الأدب النسوي الجزائري ورهاناته، مجلة الأمل، ع3/04/2009.
2. سليمة خليل، مشقوق ذهبية: الأدب النسوي بين المركزية والتهميش، أرشيف مجلة نقاليد، العدد2/12/2011، جامعة بسكرة.
3. عبد الرحمن تيرماسين، صورية (جيجيج)، إشكالية المركز والهامش في الأدب، مجلة المخبر، العدد 10، جامعة بسكرة، 2014.
4. مي فصوص، موقف الإسلام من المرأة، مجلة المخبر، العدد3، جامعة بسكرة.

**المواقع الإلكترونية:**

1. حافظ أحمد محمد أحمد: طقوس تأنيث العريس في بعض المجتمعات، source. mqqal. com
2. حسين الصحراوي: أدب محمد شكري في الهامشية إلى المركزية، مجلة علامات، مكناس، العدد 18، المغرب 2002، ص 09. إطلع 2021/08/21 على 11:55 موقع: <https://www.saibengrad.net>
3. وضع الحناء على الأيدي من موقع: <https://www.olmaghribtoday.net>. إطلع عليه، 2021/11/23 الساعة 9:30.

4. نور علي درب: مواصفات المرأة التي يقدم المسلم على الزواج بها،  
hppts://binboz. on. 50

المذكرات والأطروحات:

1. محمد أحمد العرب: ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر، دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم الأدب والنقد، 1976.

# فہرس

1 ..... مقدمة

**الفصل الأول:**

**الكتابة النسوية وسرد الصحراء**

7 ..... المبحث الأول: المركز والهامش:

13..... المبحث الثاني: الكتابة النسوية بين الرفض والقبول.

**الفصل الثاني:**

**صورة المرأة المهمشة وتمثالاتها الطقوسية**

21..... المبحث الأول: المرأة النمطية ومظاهر الامتثال للثقافة.

39..... المبحث الثاني: استغلال الدين في الهيمنة:

**الفصل الثالث:**

**نموذج المرأة المتمردة وإعادة تشكيل الوعي**

45..... تمهيد

46..... المبحث الأول: المرأة المتمردة والثقافة.

51..... المبحث الثاني: تشكيل المركز الأنثوي.

65..... خاتمة

68..... قائمة المصادر والمراجع.

73..... فهرس

## ملخص:

تتاول بحثنا إشكالية إثبات الذات الأنثوية في رواية "وادي الحناء" الجميلة طلباوي بالتطرق للحديث عن الكتابة النسوية وسرد الصحراء والتفصيل بخصوص الإبداع النسوي وإشكالاته ولضبط مصطلح المركز والهامش، وعرج البحث لاستجلاء صورة المرأة المهمشة وتمثلاتها الطقوسية، كما ركز على بيان نظرة المخيال الثقافي للمرأة وطرائق معاملته لها، ودور التفسير الخاطيء للدين في تعميق التهميش، وكذا المرأة المتمردة وإعادة تشكيل الوعي البوابة لتشريح الآليات المنتهجة من قبل الذات الأنثوية لتجاوز النظرة الدونية والتمركز حول ذاتها، لينتهي البحث إلى نتيجة التحول الجذري للأنثى من المفعولية إلى الفاعلية.

**الكلمات المفتاحية:** المرأة المهمشة، الذات الأنثوية، تشكيل الوعي.

## Abstract:

The research addressed the problem of proving the female self in the novel « Wadi Al Henna »by Jamila Talbawi by addressing the discourse of feminist writing and desert narrative, detailing the feminist creativity and its problems, and controlling the term «Center and Margin »and research lameness in order to clarify the image of marginalized women and their ritual representations. And the role of the misinterpretation of religion in deepening marginalization, as well the rebellious woman and the reconfiguration of consciousness as a gateway to dissect the mechanisms used by the feminine self to transcend the inferior vision and focus on herself, so that the research ends with the radical transformation of the feminine from efficiency to effectiveness.